المشرق

الطلاق عند المسيحيين

نظر لاهوتي للاب انطون صالحاني اليسوعي

طلب الينا بعض الرؤساء الروحيين الاجلّاء ان نكتب مقالة في هذا الموضوع نبيّن فيها ما تعلّمهُ الكنيسة الكاثوليكيّة. فاجابةً لرغبتهم التي هي عندنا بمنزلة الامر وضعنا هذه المقالة نبيّن فيها ان الطلاق غير جائز عند المسيحيين

فتمهيدًا لفهم كلامنا نقول ان كلمة الطلاق تأتي بمعنيين عامّ وخاصّ. ويراد بالعامّ الهجر والافتراق وبالخاصّ فسخ عهد الزواج. ومعلومٌ ان اليهود كانوا احيانًا يُطلقون لفظة الطلاق على الافتراق فقط. كما ورد في العاديات اليهوديّة لفلافيوس يوسف (ك ٥ ف ٧) حيث قال: «لم يكن نادرًا ان الرجل عند غيظهِ يطلّق امرأتهُ دون ان يحلّها من وثاق العهد بكتاب طلاق». وهذا ليس الّا الافتراق. فاذا ارادوا المعنى الخاصّ اي فسخ العهد اعلنوا ذلك بكتاب طلاق يسلّم للمرأة دلالةً على انها مُعتقة يمكنها ان تعقد زواجًا آخر

فبعد هذه التوطئة الوجيزة نأخذ في بيان القضية التي نريد اثباتها. فنبيّن اولًا ان الطلاق ممنوع اجمالًا ونبرهن ثانيًا انهُ ممنوع حتى في حادث الزنى

منع الطلاق اجمالًا

انَّ الطلاق الذي هو فسخ العهد لم يكن من البدء كما صرّح بذلك السيّد المسيح. ولكن لقساوة قلب الشعب الاسرائيلي اذن لهم موسى ان يطلّقوا نساءهم. الّا ان المسيح لمّا رفع الزواج الى درجة سامية من القداسة بأن جعلهُ سرًّا من اسرار الكنيسة يمنح النعمة للمتزوجين ليعيشوا بالاتحاد والمحبة والامانة ويربّوا اولادهم تربية مسيحيّة بخوف الله وحفظ وصاياه اعاد الزواج الى كمالهِ الاوّل واعلن انهُ غير قابل الانحلال

بقوله: « من طلّق امرأتهُ وتزوج اخرى فقد زنى عليها. وان طلّقت امرأة بعلها وتزوجت آخر فقد زنت » (مرقس ١٠: ١٢،١٣)

وقد نعت بولس الرسول سرّ الزواج باوصاف تزيدهُ سناءً وبهاءً اذ قال في رسالته الى اهل افسس (٥: ٣١—٣٢): « لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأتهُ فيصيران كلاهما جسداً واحداً. ان هذا لسرٌ عظيم. اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة » اي ان ارتباط الرجل بالمرأة الذي انما وضعهُ الله تعالى يشير الى ارتباط السيد المسيح بكنيستهِ الطاهرة « لانَّ الرجل هو راس المرأة كما ان المسيح هو رأس الكنيسة » (افسس ٥: ٢٣) فينبغي ان يكون ارتباط الزوجين على غاية ما يمكن من الكمال حتى يكون شبيهاً بالارتباط الذي بين الكنيسة والمسيح

ومذ اخذت الشريعة الانجيليَّة تمتدّ في العالم انتشر معها هذا التعليم المقدَّس. فاثبتهُ الرسل الذين تلقوه من فم السيد المسيح ودوَّنهُ الانجيليون وكتب عنهُ آباء الكنيسة وعلماؤها في تآليفهم وشرحهُ الخطباء واوضحوهُ في عظاتهم وجرى بموجبهِ المسيحيون في كل اقطار المسكونة من عهد الرسل الى ايامنا هذه مدة الف وتسعمائة سنة. وهو تعليم كل الطوائف كاثوليكية وغير كاثوليكية من لاتين وروم وسريان وارمن واقباط. وكل مملكة او شعب او مدينة او قرية او عائلة دخل فيها الدين المسيحي دخل معهُ العمل بهذا التعليم. حتى ان اسم الزواج المسيحي اضحى في عرف الجميع مرادفاً للزواج الذي لا طلاق فيهِ

فلعمر الحقّ ان هذا الاتفاق العجيب العام المنتشر بلا خلاف في كل البلدان. لَمِمّا يسلّم بهِ عند كل الامم النصرانيَّة. الذي يتمسك ويعمل بهِ كل مسيحي يؤمن بالانجيل. الثابت غير متزعزع كالحصن المنيع مقاوماً هجمات وصدمات الاهواء البشريَّة يتعذر وجودهُ ان لم يكن مصدرهُ تعليم السيد المسيح

ولا غروَ ان من يمعن النظر ويتأمل في ما ورد من الآيات البينة عن الزواج والطلاق في الانجيل الطاهر لا يسعهُ الّا ان يذعن للحقيقة صاغراً

هذا ومع ان كافة المسيحيين في العالم يعترفون بان الطلاق محرم اجمالاً (١

(١) كلٌّ يعلم ان الزواج عقد مقدَّس ومعاهدة تربط الزوجين. ولا بدّ لصحة كل عقد ومعاهدة من شروط جوهريَّة. مثلاً في عقد البيع لا بد ان يكون ما تبيعهُ ملكك وان تكون لك

طبقاً لتعليم السيد المسيح وبولس الرسول فانَّ البعض من غير الكاثوليكيين يستثنون حادث الزنى فيزعمون ان الطلاق فيهِ جائز مستندين في زعمهم الى آية متَّى الانجيلي « من طلق امرأتهُ الَّا لعلَّة زنًى فقد جعلها زانيـة » (متى ٥ : ٣٢) وقوله " من طلَّق امرأتهُ الَّا لعلَّة زنًى واخذ أُخرى فقد زنى » (متى ١٩ : ٩) فيقولون ان السيد المسيح لدى تحريمهِ الطلاق وفسخ الزواج في هاتين الآيتين استثنى حادث الزنى

منع الطلاق في حادث الزنى

فها نحن نبيّن بالبراهين الجلية ان هذا الزعم باطل لا صحَّـة لهُ ولا يستند الى حجة وان الصواب والحق ما تعلمهُ الكنيسـة الكاثوليكيَّة من ان الطلاق ممنوع على الاطلاق حتى في حادث الزنى وان معنى كلام السيد المسيح منافٍ لتأويلهم وزعمهم

ولكي تتضح البراهين يحسن بنا ان نورد بادئ بدء آيات الكتـاب المقدَّس التي جاء فيها ذكر الزواج والطلاق ليكون القارئ على بصيرة وهدًى فيما سنقولهُ وليمكنهُ مقابلة النصوص ومعارضتها بعضها فتنجلي لهُ الحقيقة

(تكوين ٢ : ٢٤)

« ولذلك يترك الرجل اباه وامَّهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران جسدًا واحدًا »

(متى ٥ : ٣١،٣٢)

« قد قيل من طلَّق امرأتهُ فليدفع اليها كتاب طلاق . امَّا انا فاقول لكم من طلَّق امرأته الَّا لعلة زنًى فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلَّقة فقد زنى »

(متى ١٩ : ٣ — ١٢)

« ودنا اليهِ الفريسيون ليجربوه قائلين هل يحلّ للانسان ان يطلّق زوجتهُ لاجل كل علَّة .

الولاية على التصرّف بهِ . فاذا نقص احد الشروط الجوهريَّة كان البيع باطلًا لا يُجاز

وقد يعترض عقد الزواج موانع اساسيَّة من سنّ وقرابة وغلط جوهري وعجز وغيرها فتُبطل ارتباطه وقت عقده . والمتزوجان يجهلان هذا الفساد الاصلي او يعرفانه ويقدمان على الاقتران مندفعين بالميل والطيش . وكثيرًا ما ترفع دعاوى زواجية الى المحاكم الكنائسية فتفحصها الفحص المديد ثم تحكم بصحة الزواج او ببطلانهِ . فاذا صدر الحكم ببطلانهِ لا يُعد ذلك مساسًا بالطلاق بل هو تصريح واعلان بان عقد الزواج كان في الاصل فاسدًا وباطلًا . ويباح اذ ذاك للزوجين ان يقدما على زواج آخر . وهذا من الحوادث النادرة نظرًا لما تستخدمهُ الكنيسة من الحكمة والاحتياطات قبل عقد الزواج كالمناداة الثلثية في الكنيسة ثلاث مرّات متفرقة والبحث المدقق عمَّا اذا كان يوجد موانع . وعليهِ يلزم التمييز بين الطلاق اي فسخ عهد الزواج واعلان بطلانهِ

فاجابهم قائلًا أما قرأتم ان الذي خلق الانسان في البدء ذكرًا وانثى خلقهم وقال لذلك يترك الرجل اباه وامّه ويلزم امرأتهُ فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا . فليس هما اثنين بعد ولكنهما جسد واحد . وما جمعهُ الله فلا يفرّقهُ انسان . فقالوا لهُ فلماذا اوصى موسى ان تُعطى كتاب طلاق وتخلّى . فقال لهم ان موسى لاجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلّقوا نساءكم ولم يكن من البدء هكذا . وانا اقول لكم من طلّق امرأتهُ الّا لعلّة زنىً واخذ اخرى فقد زنى . ومن تزوج مطلّقة فقد زنى . فقال لهُ تلاميذهُ ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأته فاجدر لهُ الّا يتزوج . فقال لهم ما كل احد يحتمل هذا الكلام الا الذين وُهب لهم . »

(مرقس ١٠ : ٢—١٢)

فدنا الفريسيون وسألوه مجربين لهُ هل يحلّ لرجل ان يطلّق زوجتهُ . فاجابهم قائلًا بماذا اوصاكم موسى . قالوا ان موسى اذن ان يُكتب كتاب طلاق وتخلّى . فاجاب يسوع وقال انهُ لاجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصيّة . ولكن في بدء الخليقة ذكرًا وانثى خلقهم الله . لذلك يترك الرجل اباه وامّهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا . فليسا هما اثنين بعدُ ولكنهما جسد واحد . وما جمعهُ الله لا يفرّقهُ انسان . وسألهُ تلاميذهُ ايضًا في البيت عن ذلك فقال لهم من طلّق امرأتهُ وتزوج اخرى فقد زنى عليها . وان طلقت امرأة بعلها وتزوجت آخر فقد زنت »

(لوقا ١٦ : ١٨)

« كل من طلّق امرأتهُ وتزوج اخرى فقد زنى ومن تزوج التي طلّقها رجلها فقد زنى »

(١ كورنثس ٧ : ١٠,١١)

« ان المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس برجلها ما دام حيًّا فان مات الرجل برئت من ناموس الرجل . فمن ثم ما دام رجلها حيًّا ان صارت لرجل آخر فانها تُدعى زانية وان مات رجلها فهي حرّة من ناموس الرجل حتى انها ان صارت لرجل آخر فليست بزانية »

(رومية ٧ : ٢—٣)

« امّا المتزوجون فاوصيهم لا انا بل الرب بان لا تفارق المرأة رجلها وان فارقتهُ فلتبقَ غير متزوجة او فلتصالح رجلها . ولا يترك الرجل امرأتهُ »

اذا أضربنا هنيهةً عن هذه الكلمات « الّا لعلّة زنىً » المثبتة في نصّ متى الانجيلي لنلاحظ ونعتبر سائر الآيات التي اوردناها لا يسعنا الّا الاقرار بمنع الطلاق قطعًا في جميع الظروف والحوادث . وفي الحقيقة كل من يؤمن بالانجيل ويذعن لتعاليمهِ يعترف بان الطلاق في سائر الحوادث غير جائز وان وثاق الزواج لا يتحلّ الّا بالموت . فالصعوبة اذًا كلها تنحصر في هذا الاستثناء « الّا لعلّة زنىً » فاذا بيّنا انّ الطلاق ممنوع ايضًا لعلّة الزنى في تعليم المسيح نلنا المرغوب واثبتنا المطلوب

ان السيد المسيح بقوله « من طلّق امرأتهُ الّا لعلة زنىً فقد جعلها زانية » وايضاً « من طلّق امرأتهُ الّا لعلّة زنًى واخذ اخرى فقد زنى » قصد بكلمة « طلّق » المعنى العمومي لا الخصوصي بسبب قرائن الكلام اي انهُ سمح بهجر الزوج الزاني والافتراق عنهُ قصاصاً لهُ على ذنبهِ دون ان يسمح بفسخ العهد الزواجي . والدليل على ذلك انهُ لو لم يكن هذا معناه لما امكنهُ ان يُتبع كلامهُ بهذه العبارة « ومن تزوج مطلقة فقد زنى » (متى ٥ : ٣٢ و ١٩ : ٩) لان كلمة « مطلقة » في هذه الجملة تشمل كل امرأة مطلقة سواء كانت زانية ام لا . فلو اراد المسيح بالمطلقة التي انحلّت من عهد الزواج لما اوجب على مَن تزوج بها خطيئة الزنى لانها تكون وقتئذٍ مُعتقة والزواج بالمعتقة غير ممنوع شرعاً . والحال ان السيد المسيح صرّح بان من يتزوج مطلقة يزني فيكون اذاً مرادهُ بالطلاق لعلة الزنى لا فسخ عهد الزواج بل الابتعاد عن الزانية فقط وهجرها . والمسيح لا يسمح بالافتراق عن غير الزانية لئلّا تُعرّض للزنى ولهذا قال : فقد جعلها زانية » : اما الزانية فيسمح بالافتراق عنها لانها بهذا الفعل لا تُعرّض للزنى بما انها مرتكبة للمحارم .

ثم ان السيد المسيح يُجيز الطلاق لعلة الزنى دون اخذ امرأة اخرى (متى ١٩ : ٩) وكلٌ يفهم ان هذا النوع من الطلاق ليس حلّ الزواج بل الافتراق عن المرأة الزانية . فلو كان المسيح عنى الطلاق كما يفهم الناظر فما الفائدة يا ترى من الجملة التي اضافها « ومن تزوج مطلقة فقد زنى » أليس معناها مناقضاً لما يريدهُ المسيح على زعم المعترض . لانهُ يكون سمح بفسخ العهد وتحريمهِ معاً مناقضاً ذاتهُ بذاتهِ . اما الافتراق بالمعنى الذي نفهمهُ تبعاً للكنيسة الكاثوليكيّة فان الجملة التي اضافها المسيح توضحهُ وتؤيدهُ . لان عدم السماح بان يتزوّج احد بالمطلقة يبرهن ان طلاقها ليس حلّ زواجها بل هجرها فقط

هذا ونرغب الى الذين يُؤوّلون كلمة الطلاق في آية متى بفسخ عهد الزواج ان يتأملوا في تركيب العبارة التي استعملها المسيح . فلو اراد ان المطلقة لعلة زنًى معتقة من الزواج لكان قال : من طلّق امرأتهُ واخذ أخرى الّا لعلّة زنًى فقد زنى . لكنهُ لم يستخدم هذا التركيب . بل قال : « من طلّق امرأتهُ الّا لعلة زنًى واخذ اخرى فقد زنى » فان الاستثناء في هذا التركيب الاخير يعود الى الجزء الاول فقط اي انهُ يقع على الطلاق

لا على اخذ امرأة اخرى . وعليهِ فالسيد المسيح يسمح بالطلاق لعلّة الزنى ولا يسمح باخذ امرأة اخرى او بعبارة ثانية يجيز الطلاق لعلة الزنى اذا كان غير مصاحب باخذ امرأة اخرى . وهذا ليس حلّ الزواج بل الافتراق عن المرأة الزانية . هلمَّ نبيّن ذلك بمثل . لو قلنا مثلًا : من حلف باسم الله الّا لضرورة ونكث بعهدهِ فقد خالف الوصيّة . فاذا اوّلنا هذه الجملة كما يؤوّل المناظر آية متّى الانجيلي عن الطلاق ظهر للحال فساد التأويل والمعنى . لاننا اذا قلنا من حلف باسم الله ونكث بعهدهِ الّا لضرورة لا يخالف الوصيّة كان المعنى فاسدًا . لان الضرورة تجيز الحلف باسم الله دون مخالفة الوصيّة لكنها لا تجيز النكث بالعهد . وذلك لان الاستثناء في هذه العبارة يقع على ما قبلهُ لا على ما بعدهُ . كذلك علة الزنى هي مسوّغ للطلاق لكنها لا تسمح باخذ امرأة اخرى . فاذاً الطلاق الذي يسمح بهِ المسيح ليس الّا الهجر والافتراق لا طلاقاً يجوز فيهِ زواج آخر

وهاك برهاناً آخر على ان معنى كلام السيد المسيح هو كما فهمناهُ واوضحناهُ . فلو كان معناه حلّ الزواج لمّا كان تعجب التلاميذ ودهشوا ولما كانوا استصعبوا الامر كما استصعبوهُ اذ هتفوا : « ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأتهِ فاجدر لهُ الّا يتزوج » (متى ١٩ : ١٠) . فماذا يا ترى يجيب الرب . اليقول لهم : لم تدركوا معنى كلامي ولم تفهموهُ بالصواب لاني في منع الطلاق بسبب الزنى لم اقصد منع زواج آخر . كلاَّ . فانَّ المسيح لم يجبهم هكذا ولم يلطّف معنى كلامه ولم يصلح المعنى الذي فهموهُ بل اثبتهُ وحققهُ قائلًا : « ما كل احد يحتمل هذا الكلام الّا الذين وُهب لهم » (متى ١٩ : ١١)

وزد على ذلك انهُ في شريعة موسى كان يُعطى كتاب طلاق للمرأة التي يطلقها زوجها اشارة الى انّها معتقة وانهُ يمكنها ان تتزوّج بآخر . امّا هنا فلا كلام البتة عن كتاب طلاق يعطى للزانية بل بالضد يُحرّم أن يتزوجها احد . فطلاقها اذًا ليس طلاقاً بحصر القول بل هجرًا وافتراقاً

ومما يُبيّن ان معنى كلام السيد المسيح في انجيل متى هو كما قُلنا ما جاء في نصوص اخرى من الانجيل الشريف لمرقس ولوقا . فقد ورد في انجيل مرقس ما نصُّهُ : « وسألهُ تلاميذهُ ايضاً في البيت عن ذلك » (مرقس ١٠ : ١٠) يريد بهِ انهم رغبوا ان يأخذوا من فم المسيح تفسيرًا اوضح يركنون اليهِ . فاجابهم جواباً ينفي كل استثناء

فقال: « من طلّق امرأتهُ وتزوج اخرى فقد زنى عليها وان طلّقت امرأة بعلها وتزوجت آخر فقد زنت » (مرقس ١٠: ١١,١٢) فالسيد المسيح في هذه الآية يتكلم عن الطلاق الذي هو فسخ العهد حيث يفترض انهُ يليهِ زواج آخر فيقول عنهُ انهُ ممنوع حتماً . فلا يستثني علّة الزنى ويحرّم الطلاق على المرأة كما يحرّمهُ على الرجل . وعليهِ نقول:

اذا كان الزواج الذي يلي الطلاق زنَوياً سواء طلق الرجل امرأتهُ او طلقت المرأة رجلها كان هذا برهاناً قاطعاً على ان الطلاق محرّم في شريعة المسيح على الاطلاق

وهكذا تكلم لوقا البشير: « كل مَن طلّق امرأتهُ وتزوج اخرى فقد زنى ومن تزوج التي طلقها رجلها فقد زنى » (لوقا ١٦: ١٨) فلو فُرض في كلام متى بعض الالتباس لوجب ايضاحهُ بكلام مرقس ولوقا لانهُ عمومي ولا استثناء فيهِ البتة . ومعلوم ان هذين الانجيليين كتبا بعد ما كتب متى انجيله . فلو كان فسخ العهد لعلّة الزنى جائزاً أما كان واجباً على مرقس ولوقا ان يذكراهُ خاصةً بعد ما ذكر متى جملتهُ التي فيها شيء من الشبهة وذلك حذراً من ان يلزما المسيحيين بشريعةٍ لم يضعها المسيح

والذي علّمهُ الانجيليون يعلّمه ايضاً بولس الرسول بنوع صريح ورسمي في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس . لانهم كانوا كتبوا اليهِ يسألونهُ ايضاح بعض مسائل متعلقة بالزواج فاجابهم مبيّناً لهم شريعة الكنيسة بحسب تعليم المسيح فقال « اما المتزوجون فاوصيهم لا انا بل الرب بان لا تفارق المرأة رجلها وان فارقتهُ فلتبقَ غير متزوجة او فلتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأتهُ » (١ كورنتس ٧: ١٠,١١) ولا ريب في ان الرسول يشير الى كلام الرب في الانجيل لانهُ قال « اوصيكم لا انا بل الرب » فيشرح اذاً وصيّة المسيح . ويتكلم عن المفارقة العادلة الصوابيّة لانهُ يخيّر بين الاستمرار على المفارقة والمصالحة . والمعترضون لا يذكرون سوى الزنى علّة للطلاق طبقاً لكلام متى على زعمهم . وفي هذه الحالة يُلزم الرسول بان تبقى المرأة غير متزوجة فاذاً هي غير مُعتقة من ناموس الزواج

ثم ان بولس الرسول في الآية ٣٩ من الفصل نفسهِ يقول ايضاً: « ان المرأة مقيّدة بالناموس ما دام رجلها حيّاً فان رقد رجلها فهي معتقة فلتتزوج بمن تشاء » فلا يستثني لا علّة الزنى ولا علّة اخرى مع انهُ كان عالماً بكلام السيد المسيح اذ قال « اوصيهم

لا انا بل الرب » . ولاشك في انهُ فهم الطلاق لعلّـة الزنى في كلام المسيح بمعنى الافتراق واشار الى هذا الافتراق بقولهِ « وان فارقتهُ فلتبقَ غير متزوجة او فلتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأتهُ » وتزداد المسألة ايضاحًا اذا امعنَّا النظر في لفظة المصالحة . لان المفارقة التي يتكلّم عنها الرسول تحتمل المصالحة « او فلتصالحـهُ » . ومعلومٌ ان لا مصالحة متى انحلّ رباط الزواج . فالمفارقة اذًا التي يتكلم عنها الرسول ليست العتق من ناموس الزواج بل هجر الزوج اي الابتعاد عنهُ فقط . هذا هو الطلاق لعلّة الزنى الذي يستوجب ان لا يتزوج المطلقة احدٌ لانها غير معتقة بل مبعدة لا غير

وقال ايضًا في رسالتهِ الى اهل رومية (٧ : ٢ ، ٣) : « ان المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس برجلها ما دام حيًّا فان مات الرجل برئت من ناموس الرجل فمن ثم ما دام رجلها حيًّا ان صارت لرجل آخر فانها تُدعى زانية وان مات رجلها فهي حرّة من ناموس الرجل حتى انها ان صارت لرجل آخر فليست بزانيـة » . أفيمكن ايراد تعليم اوضح من هذا التعليم . ومن المقرّر ان الرسول يُعلن شريعة الزواج للمسيحيين الاولين ويبيّن لهم ما هو حرام وما هو حلال في الناموس الجديد . فلو كان جائزًا ان يحلّ رباط الزواج لعلّة الزنى أما كان من الواجب على الرسول والمعلّم ان يذكر ذلك مع اننا نراه بالعكس لا يستثني علّة من العلل . ويردّد هذه العبارة بان عهد الزواج لا يحلّ الّا بالموت . وعليهِ فالرسول تبعًا لتعليم مُعلّمهِ ينفي الطلاق اي العتق من ناموس الزواج حتى لعلّة الزنى ويقول ان المرأة لا تزال مرتبطة برجلها في اي حالة كانت ما دام رجلها حيًّا فاذا صارت لرجل آخر في حياة زوجها فتكون زانية لان رباط الزواج لا يُفكّ الّا بموت احد الزوجين . فهل يريد المناظر براهين اوضح من هذه على انهُ لا طلاق البتة في النصرانيّة

ثمَّ اننا اذا دققنا البحث في نصّ الجيل متى تزيد هذه البراهين قوة . فان المسيح بقولهِ في الفصل الخامس « قد قيل من طلّق امرأتهُ فليدفع اليها كتاب طلاق . امّا انا فاقول لكم . . . » وفي الفصل التاسع عشر منـهُ « انَّ موسى لاجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلّقوا نساءكم ولم يكن في البدء هكذا . وانا اقول لكم من طلّق امرأتهُ الخ . . » يقابل كمال الشريعة الجديدة مع نقصان الشريعة العتيقة ويردّ الزواج الى سنّتهِ الاصلية التي رتبهـا الله بل يزيدهُ كمالًا . ولكن اذا سلّمنا بما يدعيهِ غير

الكاثوليكيين من ان الطلاق يجوز بسبب الزنى كانت الشريعة الجديدة المسيحية اتقص من العتيقة للاسباب الآتية:

الاوّل ان المرأة الامينة لو فُرض ان رجلها الشرس الخلق طلّقها ظلماً وعدواناً لا يجوز لها ان تتزوج بغيره وان حاولت ذلك كان زواجها باطلاً كما يسلّم بذلك الخصم. اما المرأة الزانية المطلقة فهي حسبما يدّعي الخصم معتقة من عهد الزواج وبالتالي يجيز لها ان تتزوج بمن تشاء. ومن ثم تكون الشريعة المسيحيّة (كما يُؤوّلها الخصم) قد وضعت الزانية في حال احسنَ من حال المرأة الامينة وهو امرٌ منافٍ للعدالة واللياقة معاً

الثاني ان الشريعة في العهد القديم لم تقل بطلاق المرأة الزانية بل اوجبت قتلها رجماً بالحجارة (راجع سفر الاحبار ٢٠: ١٠ وتثنية الاشتراع ٢٢: ٢٢ ودانيال ١٣ ويوحنا ٨: ٥) فكانت اذاً هذه الشريعة التي هي اتقص كمالاً من المسيحية تتحاشى الإغراء بالزنى لما عينت له من القصاص. اما الشريعة المسيحيّة لو سلّمنا بتأويل الخصم لآية السيد المسيح في انجيل متى لكانت تُغري بالزنى اذ تجعله علّة ووسيلة للطلاق وهكذا تنحط مقاماً عن الموسويّة

الثالث لم يكن يُسمح بالطلاق في الشريعة القديمة الّا للرجل. اما في الشريعة الجديدة فلو فُرض تعليم الخصم لجاز حتى للمرأة ان تطلق رجلها بسبب الزنى. وهكذا تكون شريعة المسيح اقلّ كمالاً من شريعة موسى حيث يكون المسيح قد وسّع في الطلاق بدلاً من ان يبطله

الرابع لا اثر في اصل وضع الزواج اي في بدء الخليقة يدل على امكان فسخ الزواج بعلّة من العلل حتى علّة الزنى بل كان ممتنعاً حلّهُ على الاطلاق كما صرّح السيد المسيح بقولهِ: «انّ موسى لاجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلّقوا نساءكم ولم يكن من البدء هكذا» (متى ١٩: ٨). فلو كان المسيح سمح بفسخ عهد الزواج بسبب الزنى لما كان اعاد الزواج الى وضعهِ الاوّل بل اقصهُ بدلاً من ان يكمّلهُ. وهذا كما علمتَ مردود (ستأتي البقيّة)

رحلة

اول سائح شرقي الى امركة

(١٦٦٨ — ١٦٨٣)

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

٣٣ سبك الفضة

اما نحن فبعد ان خرجنا من هذا المعدن قصدنا بلدةً تسمَّى جكويت (Chuchui-) (٥٠ . وكان الحاكم هناك ابن اخي كاتب الملك وكان رافقنا من اسبانية وهو يسمَّى دون اندريس ده برتاجيا من بلاد بسكايا. ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى البلدة وفيها للملك بيت لسبك الفضة ومعلمون ووكلاء من جانبه لجمع الفضة التي تخرج من المعادن المحيطة بهذه البلدة فهم يأتون بالفضة ويذيبونها ويسكبونها ويعملونها بارات ويدمغونها بختم الملك . وان حمل احد حمل فضة رمليَّة ما دخلت الى بيت المسبك تضبط وتودع في بيت الملك

٣٤ سكان البلاد الاقدمون

وعن جانب هذه البلدة يوجد بحيرة لستدارتها ستون فرسخًا (١ وذكروا لنا انَّ الهنود ألقوا في هذه البحيرة جتزيرًا من الذهب كان يخصّ الملك انيكا المذكور لمَّا قتلهُ السبنيولية وذلك الجتزير كان يحملهُ اربعة الاف رجل . وعند ما كان يعمل الملك لما كانوا يعدُّون هذا الجتزير على الارض فيحيط بالبلد فكان يدخل الاكابر ويلعبون ومن يقع منهم على الجتزير او خارجًا عنهُ كانوا يضحكون عليهِ . والان لا يعلم السبنيولية في اي جانب من البحيرة ألقوهُ

ولم يكن لهؤلاء الهنود في ذلك الزمان دنانير لكن كانوا يتعاملون ويبدلون شيئًا بشيء . وكان في هذه البحيرة جزيرة كبرها فرسخان يسكنها هنود كَفَرَة يعبدون جبلًا منصوبًا امامهم يسمى الجبل الاحمر وما كان يقدر احد يجوز اليهم لان عندهم

١) تسمى هذه البحيرة تتيكاكا (Titicaca)

آلة الحرب كرماح وسهام ومقاليع . وكانوا يخرجون الى البر السالك ويأسرون السبنيولية ويأخذون البنال الذكورة ليذبحوها ويأكلوها . فامر هذا الوزير المذكور صاحبي ان يجتمع حكام القرى الذين في تلك النواحي . فاجتمعوا مقدار اربعة آلاف نفس وعداوا اربعين كلكاً وجعلوا فيهم اكياساً مملوءة تراباً وايضاً بعض افراس ثم اخذوا في ايديهم الاسلحة وجازوا في البحيرة على الكلك فلما اقتربوا من الارض وقف هنود الجزيرة مقابلهم للحرب وكانوا يرشقونهم بالسهام والجنود السبنيولية يضربونهم بالرصاص والقوا اكياس التراب على ساحل الجزيرة لتقدر الخيل تخرج الى البر لأن هناك وحلاً شديداً . فلما وصلوا الى الارض ركبوا خيلهم وركب ايضاً الفرسان واجتمعوا على الهنود وكسروهم وقتلوا منهم كثيراً واستأسروا الباقي وعددهم ثلاثمائة هندي غير النساء والاطفال وقد مات في الحرب منهم ستمائة نفس . ثم اخرجوهم من تلك الجزيرة واتوا بهم الى بلد الكوسكو فطلب الوزير من اسقف البلد ان يلقنوا هؤلاء الهنود ويعلموهم قواعد ايمان المسيح ويعمدوهم ويقسموهم على البلاد . اما انا فبقيت في هذا البلد ثمانية ايام .

٣٥ اطلاق سبيل بعض المسجونين — معدن مرمر

ثم خرجتُ قاصداً قرية تبعد يومين تسمى كوماتا فيها دير لرهبان مار اغسطينوس وفيه ايقونة سيدتنا مريم العذراء تسمى كوپاكاوانا تعمل معجزات عظيمة يأتون اليها من كل جانب ليزوروها . فرحت تباركت من تلك الملكة الجليلة وزرتها . ومن هناك خرجت قاصداً قرية تسمى بارنيكيلاوكان فتبعني اربعة لصوص ليسرقوا خيلي وبغالي فأعمت هذه العذراء بصائرهم فما قدّرهم الله على قصدهم . وكان حاكم تلك القرية صديقي اسمهُ دون ايليا باسمي فخرج لاستقبالي مع بعض قسوس وعوام واخذوني الى بيته . فثاني يوم جاء قسيس الهنود عندي وحكى لي قائلاً : ان في حبس هذا الحاكم سبعة رجال هنود محبوسين على شيء قليل . فقمت توّلت الى الحبس وفي يدي ورقة كُتبت عليها اساميهم وناديت الحبّاس ان يفتح الباب ففتحهُ وناديتهم واحداً واحداً الى خارج الحبس وأعتقتهم . وفيما بعد سمع الحاكم بما صار فقال لي : يكون فدى راسك وشرفتنا بقدومك

وقرب هذه القرية بنصف فرسخ جبل عالٍ به معدن حجر مرمر كالبلور فقصد هذا

الحاكم ان يعمل من هذا المرمر عمارة حمام كمثل قبّة صغيرة مركبة من هذه الحجارة يحملونها في صناديق ويرسلونها الى ملك اسبانية لكنهُ توفي قبل ما يكمل عملهُ

٣٦ المال المجموع ظلماً

وبعد ثمانية ايام خرجت من هذه البلدة المذكورة قاصداً بلداً يسمّى سيكاسيك (Sicasica) . وفي ذلك الصقع كان يحكم احد غلمان الوزير صاحبي وكنت دايتهُ الفي غرش في بلد ليما . فخرج لاستقبالي وكان في جانب الدرب بحيرة قدرها نصف فرسخ وبقينا نتصيّد منها بعض اجناس الطيور الى بعد العصر . ثم اننا دخلنا الى البلدة المذكورة بغاية الاكرام ونزلنا في دار الحاكم وجاء جميع الكهنة والعوام لزيارتي . وسكان هذه البلدة هنود واسبنيولية . وذكروا لنا عن قسيس كان في تلك البلدة وكان قد مات منذ اربع سنين . فهذا القسيس كان خورياً متفرداً في معبد تلك البلدة مدة اثنتين وعشرين سنة وكان قد جمع لهُ اموالاً كثيرة من الظلم . فقبل مماتهِ اعترف الى الكاهن وعمل وصيته قائلاً انهُ طمر تحت فرشتهِ خابيتين مملوّتين الواحدة فضة والاخرى ذهباً . وايضاً عمل وصيته على يد القاضي ان هذا المال يكون ميراثاً لاخيهِ واختهِ . وانا كنت اعرف اخاه وهو قسيس يسمى دون خوزيف يعني يوسف واختهُ تسمّى دونيا ايتيس . فبعد ان مات اخرجوه من البيت وسكروا الباب وختموه . فبعد ما دفنوه اتى اصحاب الشرع والحكام ليخرجوا المال المذكور . فلما حفروا المكان وجدوا الخابيتين مملوّتين دماً لا يوجد فيهما ولا دينار واحد . فكل الذين كانوا حاضرين تعجبوا من هذه العجيبة لان عدالة الله ظهرت هكذا في المال المجموع ظلماً . فلما علم بذلك مطران البلد ارسل يوصيهم ان يستروا ويخفوا هذا المثل الردي . لكن صار لهُ اهتمام عظيم عند الناس

٣٧ السفر الى اورورو وبوتوسي

وانا بعد ثمانية ايام خرجت متوجهاً الى بلدة تسمى اورورو (Oruro) وسافرنا في طريق عسر بتعب زائد . ومن بعد خمسة ايام وصلنا الى البلد وخرج لاستقبالنا الرهبان اليسوعية ونزلوا عندهم . كان حاكم البلد يسمى دون الونصو ديل كورال وهو رجل خسيس ما كان ياكل الّا كوش البقر . وخارجاً عن هذه البلاد

ثلاثة فراسخ يوجد معدن فضة غني جداً لان هذه الفضة يستخرجونها من غير زيبق وذلك هو ضد القانون في جميع المعادن ولا يوجد اصلح من هذه الفضة . ثم اني رحت الى المعدن المذكور واشتريت من الفضة الرملية مقدار خمسمائة غرش . وبعد ثمانية ايام سافرت قاصداً بلد بوتوسي (Potosi) وبتنا اول مرحلة في قرية هنود وكان عندي امر ان يعطوني بغالاً من قرية الى قرية وكنت اغرم الكروة مثلما يغرم الملك فناديت شيخ الهنود ان يحضر لي دواب وناولته الكراء بشرط ان يحضر لي الدواب بعد نصف الليل بساعة وحان الوقت واشرق الصبح وطلع النهار وما احضر الدواب لترحل . فارسلت اقتش عليه فأتوني به سكران فكنت اكلمهُ باللسان السبنيولي وهو يجاوبني باللسان الهندي . فامرت ان يشدوه بعمود البيت ويجلدوه . فمن اول ضربة السياط طلب ان يتركوه وتكلم بالسبنيولي قائلاً : ان الدواب مربوطة عندهُ في الدار . فسألتهُ لماذا ما تكلم في السبنيولي الى وقت ما ذاق السياط . فقال لي : نحن معشر الهنود لا نطاوع السبنيولية ان لم يضربونا

ثم رحت من هناك ووصلت الى مكان يخرج منهُ ماء سخن ورائحة ماء الكبريت وياتي بعض المرضى من اماكن مختلفة ليغتسلوا فيهِ . وبعد اغتسالهم يشفون من دائهم . واسم هذا المكان طاراپايا . ومن بعد ستة ايام وصلنا الى بلدة بوتوسي المذكورة فجاء الحاكم خارجاً عن البلد نحو ميل مع عشرة رجال من جماعتهِ واستقبلني بغاية الاكرام . وهذا الحاكم هو من اقرباء امرأة الوزير اوصاهُ لي في مكاتيبهِ . فنزلت في دير اليسوعية وجاء بعض الناس زاروني وانا ايضاً رحت زرتهم

٣٨ زيارة الكنتخانة ومعدن الفضة

ثم في ذات يوم رحت الى البيت الذي يضربون فيهِ سكة الدنانير من غروش وانصاف وارباع . وفي هذا البيت الكنتخانة اربعون عبداً يشتغلون واثنا عشر رجلاً اسبنيولياً فرأينا الغروش مكومة مثل التل في جانب والأنصاف في جانب وانصاف الأرباع في جانب مكومة على الارض ويدوسونها بارجلهم مثل ما يدوسون التراب الذي لا قيمة لهُ

وعن جانب هذه البلدة يوجد جبل المعدن وهذا الجبل معروف في كل الدنيا

لزيادة غناه لان قد اخرجوا منهُ اموالاً لا يحصى عددها منذ مائة واربعين عاماً من اربعة اطرافهِ وقد احاطوه وحفروه وانحدروا الى اسفلهِ ليخرجوا الفضة وقد جعلوا لهذا الجبل عواميد من خشب سنداً من كل جانب لئلا يسقط الجبل لانهُ من خارج يبان صحيحاً لكنهُ فارغ من داخل . ويشتغل في باطنهِ في قطع الحجارة مقدار سبعمائة هندي لاناس اشتروا لهم حصة من الملك لان لكل معدنجي بعض هنود معينين ليشتغلوا في معدنهِ وفي امر الملك مرسوم ان يعطوا من كل قرى الهنود رجالاً لقطع المعادن والقانون هو من كل خمسة رجال يطلع واحد للشغل المذكور واذا لم يرضَ حكام القرى ارسالهم فالوزير يجرهم ويزلهم . ولما يجيء هؤلاء الهنود الى بلد بوتوسي يقسمهم الحاكم على المعادن

٣٩ وصف استخراج الفضة

وفي هذه البلدة سبعة وثلاثون طاحوناً يطحنون فيها حجارة الفضة ليلاً ونهاراً ما عدا ايام الاحاد والاعياد وبعد ما يطحنون الحجارة ناعماً ياخذون ذلك التراب المطحون مقدار خمسين قنطاراً ويجعلونهُ كومةً ثم يجبلونهُ بالماء مثل ما ذكرنا سابقاً ويضيفون اليهِ الزيبق قدر الحاجة ثم يجبلونهُ ويحركونهُ بالمجارف عدة مرات وان طلب زيبقاً ازيد فيطعمونهُ حتى يكمل . فان كانت طبيعتهُ باردة فيخلطون فيهِ نحاساً حتى يسخن وان كانت طبيعتهُ سخنة فيضيفون اليهِ الرصاص حتى يبرد . والواسطة التي بها يفرقون هل هو سخن ام بارد هو انهم ياخذون منهُ في شقف فخار ويقسلونه بالماء حتى يروح الطين فتبقى الفضة والزيبق فيسلسهُ (يدلكهُ) باصبعهِ على شقف الفخار المذكور فاذا تفرفط (تفرّط) فهو سخن واذا انطلس (لصق) فهو بارد واذا كان مطبوخاً ومعتدلاً كاملاً فيجيء ممتداً على الفخار ومبرقاً . ثم يجعلونهُ في حوض ماء والماء جارٍ عليهِ يحركونهُ بالماء بصنعة . فالفضة مع الزيبق ينسحبان الى اسفل والتراب ياخذهُ الماء الى خارج . فلما يكملون غسل تلك الجبلة كلها يسدون ويقطعون الماء الفائض عليهِ وينظفون الحوض من الماء ويستخرجون تلك الفضة والزيبق الراكنين جميعاً ثم يجعلونهُ في اكياس من جنفاص يعلقونها وتحت هذه الاكياس صناديق مجلدة من جلود البقر فيهرب الزيبق من الاكياس ويقع في تلك الصناديق المجلدة وتبقى الفضة خالصة فقط في الاكياس

مثل قوالب رووس السكر . وجميع هذه البضايع اللازمة لعمل استخراج الفضة تدور دواليبها بالماء مثل الطواحين وغيرها

وانا كان لي رجل صديق صاحب معدن فحكى لي عن والده قائلاً انهُ كان لوالده معدن في هذا الجبل لكن كان قليل الفضة فامر الفعلة الهنود ان يردموهُ ويسدوه بتلك الحجارة التي اخرجوها منهُ . ففعلوا كما امرهم وسدوهُ وبدأوا يشتغلون في غير جانب . فمن بعد سبع وثلاثين سنة راح صاحبي هذا المذكور وفتح ذلك المعدن فوجد تلك الحجارة التي كانت غير نافعة قد تحولت وتبدلت في تلك الايام واستوت كالتبرة فاخرجوها واخذوا فضتها فاعطت كل واحد ثلاثين لان اقليم هذا الجبل الفضة مسلط عليهِ نجم يسمى عطارد وهذا النجم يطبخ الفضة (١

ورأيت في هذه البلدة اربعة رجال اغنياء جداً هؤلاء هم الذين يشغلون السكتخانه لقطع الدنانير وكل جمعة يشغل احدهم الكرخانة ويقطع في الجمعة مائتي الف غرش وازيد لانهم يشترون الفضة من اصحاب المعادن ويقطعونها غروشاً وهم يشترون الفضة الوزنة التي هي مايةَ مثقال باثني عشر غرشاً ونصف فلما يكونها تصير ستة عشر غرشاً ويعطون كل سنة من هذه المعادن عشوراً للملك مليونين ونصف . وخارج هذا البلدة بحيرة ماء ذكروا ان في بعض السنين طافت على البلدة وهدمت بيوتاً كثيرة لكن الناس سلموا . وانا بقيت في هذه البلدة خمسة واربعين يوماً

٤٠ السفر الى جوكيسا كا (Chuquisaca)

وخرجت من هناك متوجهاً الى بلدة تسمى جوكر . وفي اللسان الهندي تسمى جوكيسا كا (٢ . فاول يوم وصلنا الى مكان فيهِ حمامات ماء سخن خلقةً يخرج من الارض يسميهِ السبنيولية لوس بانيوس كالياتوس (los Bagnos Calientes) . فبت هناك تلك الليلة . وثاني يوم وصلت الى البلدة المذكورة فخرج اليوعية خارج البلد لاستقبالي واخذوني الى ديرهم . وفي هذه البلدة يوجد ديوان الملك ومدير البلاد . تحتهم تحت يد وزير ليما . وفيها مطران لهُ معبور في كل سنة مايةَ وعشرين الف غرش وهذا كان سابقاً لسقفاً على بلدة اكوماتا كا المذكورة وكان قد اهدانا هديةً في استقفيتهِ وبعد ذلك انعم الملك عليهِ واعطاه هذه المطرانيَّة . فثاني يوم رحت قابلتهُ فاكرمني اكراماً زايداً .

١) هذا من الخرافات القديمة ٢) وتسمى الان لاباز (La Paz)

واما رئيس ديوان البلد فهو رجل كاهن وكان صاحبي فاكرمني ايضاً بواسطة الوزير صاحبي لانهُ كان صديقهُ وكان يسمى دون برتلماوس ده باويدا . فارسل من قبلهِ رجلاً ليزورني . وجاء ايضاً من جانب المطران قسيسان زاراني وبعد ثمانية ايام طلع برفقتي راهبان من دير اليسوعية فزرت الذين زاروني من القسوس والرهبان والعوام

وبعد اثني عشر يوماً طلب مني المطران ان اقدس في الكنيسة الكبيرة يوم عيد الرسل وكان عندي آلة القداس يعني البدلة وغير اشياء. كان انعم عليَّ بها البابا اكليمنضوس التاسع ومن بعد ذلك عزمني رئيس ديوان الملك لاقدس في كنيسة الديوان التي هي في سرايتهِ واهداني هدية ازيد من هدية المطران . ومن بعد ذلك كان روساء الديورة يدعوني ان اقدس في كنائسهم وفي ديورة الراهبات . وكان لي هناك رجل صديق من اهل الديوان يسمى دون خوان كونصالس وهذا رافقني من لسبانية . ففي ذلك الوقت جاء امر من الملك الى هذا الرجل المبارك ان يروح الى ليما ويأخذ محاسبة من الوزير المعزول الذي هو صاحبي

وكان لاحد الرهبان اليسوعية اخت مريضة فطلب مني ان اروح ازورها وان كنت اعلم بشيء من احوال الطب فاحكمها . فرحت زرتها وعالجتها ببعض اجزاء مناسبة لعلتها وسقيتها درهماً من رماد العقاريق (١ فبقدرة الله تعالى تعافت . وكانت ايضاً راهبة أخرى في الدير مريضة فارسل اليَّ المطران دستوراً حتى اعبر اعالجها لان بغير اجازة لا يقدر احد ان يجتاز باب الدير فدخلت الدير وعالجت الراهبة فبحكمة الله وعنايتهِ طابت وتعافت . فصار غوشة (حركة) عظيمة في البلد . وكانوا يريدون ان اسكن عندهم في البلد فارادوا ان يعطوني علوفة خمسمائة غرش في السنة فقلت لهم ليس هذا ممكناً

٦١ وصف توكومان Tucuman وبونس ايرس Buenos Aires

وكان في الدير راهب يسوعي وكيل متصرف على بلاد تسمى توكمان (٢ ولهم هناك

---

١) العقاريق جمع عقروق لفظة سريانية (ܥܩܪܘܩܐ) معناها الضفادع

٢) يريد مقاطعة توكومان وبونس ايرس التي كانت تدعى رسالة الباراغواي الشهيرة في تاريخ العالم الجديد . وهناك جمع المرسلون اليسوعيون عدداً من الهنود المتوحشين ففكوا رقابهم من اسر الرق واكتسبوهم الى الانسانية بعد ان كانوا يعيشون عيشة البهائم فهذبوا عقولهم وادَّبوا معيشتهم وعلموهم مبادي الحضارة والاهتمام بحاجات الحياة من حرث وزرع وحصد والارتماء بالثياب

ديورة . ولسقف تلك البلد كان صاحبي ورفيقي من اسبانية فطلب مني الراهب ان اروح الى تلك البلاد وهي بعيدة خمسمائة فرسخ عن بلد جوكز . ويروح في هذا الدرب كلكات البر وينصبون لهم اقلاع فالريح يوديهم . ووعدني ان طاوعتهُ ورحت معهُ وجيت في خاطرهِ يعطيني الف بتل . لان المواشي في تلك البلاد شيء كثير وعديمة القيمة في الجبال وهي وحشية . لكن امتنعت عن الرواح معهُ بسبب طول المسافة . وايضاً في تلك الجبال يوجد هنود كفرة ولخوفي منهم قصرت عن الرواح . وهذا الاقليم واسع جداً . وهو اكبر من الثلاثة الاقاليم الآخر غني بمعادن الفضة والذهب والجواهر . لكن سكانهُ قليلون وفيهِ ناحية تسمى سانتافه (Santa Fe) ومن هناك يخرج الزمرد . وهذه الاسقفية لها ارض خمسمائة فرسخ . وعن جانب هذه البلدة يوجد كورة وهي اسكلة بوناس ايرس (Buenos Aires) . وهذه البلدة هي على البحر المحيط قريبة من بلاد البرازيل التي من حكم البورتكيز . وفي هذه البلدة بوناس ايرس المذكورة يزرعون حشيشاً يسمى ايربا ديال بايل كواى وجميع المتولدين في تلك البلاد يشربون من ذلك الحشيش المذكور مغلياً مع سكر بماء سخن . فاذا شرب الانسان منهم فنجاناً واحداً ينفعهُ واذا اراد ان يتقيأ يشرب منهُ اكثر فيدلق جميع ما عندهُ من العفونات . وهذا سالك بين جميع الناس في تلك البلاد كمثل القهوة في بلادنا (١

وعن يمين هذه البلدة جوكز المذكورة يوجد بلد يسمى ميسكي (Misque) ويسكنها هنود مع لسبنيول وفيها حاكم واسقف . ومنها ينحدرون سائرين في البحر مقدار

ودرّبوهم على المعارف والفنون اليدوية وغيرها فاصبحت هيئة اجتماعيّة قائمة بذاتها كاملة الاعضاء سعيدة المعيشة لا يعرف لها مثيل في الاداب السوميه والفردية . قال موراتوري : هذه هي المسيحيّة السعيدة بالحقيقة . وقال بوفون (Hist. Nat. T. XX) : لا شيء اشرف للدين منذ توصّل اليهِ المرسلون اليسوعيون بتفانيهم فدنوا امماً متوحشة واسسوا هيأة اجتماعيّة كاملة ولم يكن سلاحهم الا الفضيلة . وقال روبرتسون البروتستني : (Hist. Charles V, T. I) قد بيّن اليسوعيون قدرتهم على الخير بنوع خاص في العالم الجديد . فان فاتحي هذه البلاد كانت رغبتهم في المكسب والنهب والاستيلاء والفتك . ولم تكن غاية مرسلي البارغواي الا الانسانيّة . وقال اخيراً فولتير (Essai sur les mœurs, X p. 56) : ان تأسيس رسالة البارغواي بواسطة اليسوعيين يبيّن بنوع ما اسمى درجات الانسانيّة

١) سماها المؤرخون والرحالون Yerva de Pales او Caacuys (اطلب Histoire Générale des Voyages, T 14 p. 146 – etc.)

خمسماية فرسخ ثم يصلون الى ارض تسمى جبلـه وجلويه وولدبويه . وفي هذه البلدة جبله اسقف وديوان الملك وحاكم يسمى جنيرال وهم دائماً في حرب مع الهنود والكفرة لان هولاء الهنود من قبل ما كانوا يعلمون احوال الحرب لكن بعد ما تعاشروا مع السبنيولية تعلموا مثلهم . وما كان لهم اوّلاً خيل ولا كانوا يعرفون ركوبهـا . فالان صاروا يركبون الخيل برماح شبه العرب ويتحاربون مع السبنيولية دائماً واذا مسكوا احداً منهم يشوونهُ ويأكلون لحمهُ . واما الراس فيُطعون جمجمتهُ ويعملونها طاسة ويشربون بهـا نبيذاً من نبيذ بلادهم وهولاء عصاة وشديدون وقساة القلب وهم مضادون السبنيول وصيةً من ابائهم واجدادهم الّا البعض منهم كانوا هربوا من هذه البلاد من زمان الفتوح لما قُتل ملوكهم وسكنوا في جبال عالية وعاصية

فمن بعد خمسة واربعين يوماً خرجتُ من هذه البلدة صحبة القاضي دون خوان المرقوم ليروح ياخذ المحاسبة من الوزير صاحبي المعزول من ليما ثم رجعت الى بوتوسي المذكورة . ولمّا كنت في بلد جوكز كان عندي صورة راس ووجه المسيح كنت قد جبتها (احضرتها) معي من رومية فاهديتها الى راهب يسوعي . فلمّا وصلت الى بلد بوتوسي وفتحت الصندوق وجدتهـا عندي في الصندوق فبقيت متحيراً مع خدامي ورفقاني من هـذه الحجية فلمّا سمع رئيس دير رهبان المرسه التي تأويلها رهبنة مريم الموهبة طلب مني هذه الصورة فاهديتـهُ اياها على ظني انها ترجع ثاني مرّة فما رجعت

٤١ الوزير المعزول

فالان نرجع نتكلم عن الوزير الذي في ليما صاحبي الذي عزلوهُ بغير ذنب وجاء امر من الملك الى المطران الذي في ليما ليحكم مكانهُ الى ان يجيء حاكم لم وزير آخر . وهذا الوزير المعزول كان سعى في هذا المطران حتى عملـهُ مطران ليما . ولمّا انعزل صار المطران عدوًّا لهُ كبيرًا . ولما سبب عزل الوزير فهو ان تجار الهنـد كانوا كتبوا ضده الى الملك والى اخي الملك دون خوان اوستريا افتراء بغير حق

فبعـد وصول المعاريض من الهند الى اسبانية حصلت في يد اخي الملك الذي كان عدوًّا كبيرًا للوزير بسبب ان انا الوزير كان من طرف الملكة فارسل عزلهُ . وانا خرجت من بوتوسي صحبة ذلك الرجل الذي راح ليطلب المحاسبة من الوزير فوصلنا

الى بلدة تسمى اوكيا قريبه من البحر الازرق . وقبل دخولنا بليلة في نصف النيل تاهت البغال فنسا تلك الليلة في شدَّة عظيمة لان كان معي حمل فضة رملية فشكرنا الله عند الصباح وجدناها لان في تلك الارض ما يوجد حراميه . وثاني يوم دخلنا الى البلدة المذكورة . فتلاقيت مع الاسقف المذكور الذي كان في باناما وانا حامل عكازتهُ وخلصتني من الغريق في تابوكا . فترحب بي واستقبلني كأخ لهُ بعز واكرام فهناك حكوا لي عن هندي لهُ معدن قوي غني وما اكتشف عليهِ السبنيولية فكان يروح هو وابنهُ الى المعدن سرًّا في الليل ويقطعان حجارة الفضة ويأتيان بها الى دارهِ ويصفيانها بالنار فلما حكوا لي انهُ اعطى حسنة قداس اربعين الف غرش ارسلت وراه ودعوتهُ عندي وقلت لهُ : اخبرني لاجل اي سبب لم تكشف هذا المعدن للملك حتى ينعم عليك وعلى اولاد اولادك من فرايض ومراتب الحكم في هذه البلدة . فاجابني قائلًا : رأيت هنودًا اقدم مني كشفوا حالهم للسبنيولية وماتوا اخيرًا تحت العذابات . هو هو السبب . فانا صدقت كلامه من جهة الظلم الذي نظرتهم يعملونهُ على الهنود . ومكثنا في تلك البلدة عشرة ايام الى وقت ما حصل لنا مركب

ثم سافرنا في البحر ثانية ايام حتى انتهينا الى ميناء ليما التي تسمى الكليا El-Callao وهي تبعد عن البلد فرسخين . والفضة الرمليـة التي كانت معي لو تكون بيد غيري لكانوا اخذوها للملك لكن ما ارادوا ان يفتحوا احمالي . ثم دخلنا الى بلد ليما في عربانة صاحبي رئيس ديوان الايمان . وهذا رفيقي نزل في مكان آخر . ولمَّا المطران الموكل على الحكم ضادد هذا القاضي الذي جاء ياخذ المحاسبة وحبسهُ في دارهِ قائلًا : اولًا تنفي الوزير الى مكان بعيد مقدار مايتين فرسخ وبعد ذلك تسمع الشكاوات ودعاوي الناس فاحضروا الوزير وعرضوا عليهِ امر النفي فطاع لان قوانين اسبانية لمَّا يزل حاكم ينفونهُ الى فرسخين لكن هذا الوزير عدوه دون خوان مثلما ذكرنا سابقًا فامر بنفيه الى مايتين فرسخ . فطاع امر الملك وخرج متوجهًا الى مكان النفي الموسوم الذي يسمى پاپتا وهي ارض حامية يحضرون اليها ماء الشرب من بعد فرسخين وبقيت امرأتهُ وخدَّامها خارج ليما فرسخين بسبب انهم كانوا قليلي العافية وانا طالعت في رقعة الوزير مع بعض اصحاب لنودعهُ الى ميناء الكليا . وهذا الرجل كانت امانتهُ زائدة في العذراء فقال : ولو سقوني السم ما يضرني بقوة الاله ووالدته

القديسة الطاهرة مريم . فخرج مركبهُ مسافرًا ونحن رجعنا الى البلد

فدخلت عند مطران البلد وتكلمت معهُ وقلت لهُ : كيف يحلّ من الله ان تنفي هذا المسكين الى ذلك المكان البعيد وهو رجل ضعيف لان الحكماء قالوا ان الذي يروح الى تلك البلاد السخنة يموت . فالسيد المسيح امرنا في افعال الرحمة اننا نفتقد المرضى ونزورهم ولا نطردهم وننفيهم الى مكان بعيد حيث خطر الموت . فاجابني قايلًا : انا مغتاظ على امرأتهِ لانها شتمتني لاجل ذلك اردت انتقم منها في نفي زوجها الى ذلك المكان . وكان الوزير لمَّا ودعتهُ امرني ان ادير بالي على بيتهِ وعلى امرأتهِ لخوفهِ من الاعداء ان يسقوها سمًا وانا بقيت سنة وشهرين مهتمًا بعائلتهِ

فارسل المطران الى القاضي ان لا يحاسب الرجل الى وقت ما يعطيه دستورًا . فبقي في هذا الحال مقدار سبعة اشهر متعطلًا . فمن بعد ذلك اعطاهُ دستورًا وجعل الموعد ثلاثة اشهر . ففي جمعة الآلام عجل القاضي في انهاء هذه الدعوى وسجّل الدفاتر وختمها وارسل لصق في حيطان الازقّة اوراقًا بان الوزير المعزول تقرّر ان ليس عليهِ ذنب ولا اثبات بعلة من العلل بل خالص من جميع المصاريف والزلل . فلمَّا سمع المطران حزن وخرق ثيابهُ من الهمّ . حينئذٍ رجع الوزير من النفي الى بلدة ليما . فخرج لملاقاتهِ من البلدة جميع الاعيان والاشراف ورافقوهُ الى القرية حيث كانت امرأتهُ وصار فرح عظيم عند الاعيان وعند الهنود لسبب رجوعهِ سالمًا . ومنحهُ الله بعد رجوعهِ ولدًا ذكرًا سمّاهُ فرديننو ديلا كورا كونده كستيليا ومركيز دي ماراكون

٤٢ صداقة السائح للمظلوم

ولمَّا كان الوزير منفيًا ارسل المطران استدعاني وقال لي : لاي سبب انت مرتبط وملتصق بهذا الرجل ؟ تعال اليَّ واتركهُ وانا اسكنك عندي واساعدك في جميع مصالحك بكل ما تمتاز . فقلت لهُ : كيف يمكن ان اترك صديقي القديم واعدم صحبتهُ لاسيما مثل هذا الرجل الصالح وبالاكثر الان بسبب انهُ معزول . والله اوصانا باعانة الضعفاء واقامة الساقطين لان الانسان الذي يكون ولد حلال ويعرف اصلهُ وشرف جنسهِ لا يترك صديقهُ الاول عند عزلتهِ بل يساعدهُ ويسليه في كربهِ وضيقتهِ . وانا واقف ايضًا في خدمتك ومحبتك ومثل ما انا صديقهُ انا ايضًا صديقك . فقال لي :

اصنع ما تريد . فبعد مدة شهرين ارسل المطران يدعوني فعند ما دخلت البلد رحت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت لهِ فقال لي : اذهب اليهِ وكلمهُ بكل ما في خاطرك . فرحت اليهِ وتكلمت معهُ فقال لي : لاي سبب ما تروح الى بلادك فقلت لهُ : اذا اردت الرواح الى بلادي لا مانع يقدر يمنعني والان ما لي نيَّـة ان اسافر من هاهنا . فقال لي : ان امرك والرخصـة الممنوحة لك لاربع سنين وها هي قد كملت . فقلت لهُ : نعم هكذا هو لكن انا ما اريد اسافر وافترق عن الوزير وانت اصنع ما تشا وتريد . فقال لي : لاي سبب تحب هذا الرجل وتحامي لهُ وانا ما تحبَّني مثلهُ . فقلت لهُ : نعم ان في بلادنا وعوائدنا يحامون عن الانسان الواقع ويساعدونهُ وتكمل وصايا الله الذي اوصانا قائلًا حب قريبك كنفسك . فانا احب الوزير واجبك واحب قريبي . ثم قام من كرسيهِ وجاء احتضنني قائلًا : الله يبارك عليك لانك ابن ناس اشراف ودمك وافعالك تشهـد عليك . فرجعت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت لهُ ما جرى ففرح وفرحت ايضاً امرأة الوزير وقالت : الله تعـالى يرحم والديك الذين خلفوك ويزيد اصلك

(لهُ بقيَّة)

شفا عمر

لجناب الاديب رفضلو محمد سليم افندي الاثري مدير شفا عمر سابقاً

شفا عمر ناحية ملحقة بلواء عكاء وهي بلدة عظيمة كانت في سالف الزمن تسمَّى شفرعم باللغة العبرانية وقيل كانت لرجل من كهنة اليهود اسمهُ شفرام وقد سكنها قوم من الموسويين وكان لهم مجلس خاص ينعقد فيهـا ويسمى عندهم مجلس السندريم الموسوي اي مجلس الشريعة وقد سُميت المدينة تسمية أخرى بلفظة كسترم او القلعة وعند كشف هذه الناحية وجد احد المؤرخين ان تأسيس هـذا البناء العظيم في زمن الظاهر وقال ان بناء هـذه السرايا لعلـهُ في زمن ولدهِ عثمان في سنة ١٧٦١ غربية ولمَّا قدم احد فضلاء بيروت في مهام حكومتهِ وكان اذ ذاك الوقت حاكماً فطاف الناحية وتفقد الآثار القديمـة التي اخرجت من محلات متعددة

فرأى ان في قصبة الناحية سراية عظيمة جداً وهي مؤسسة في زمن الحاكم عثمان سنة ١١٨٣ هجرية مع اربعة ابراج فالسراية في يومنا هذا متضعضعة الاركان ولم يبقَ فيها سوى اوطة واحدة ثابتة وتحت السراية اثنا عشر اخوراً يسع من جياد الخيل الف رأس والابراج على وشك الاندثار وهي دالة على دقة الصناعة والهندسة وقد رأيت على باب السراية الى جهة القبلي هذه الابيات المسطرة في ذلك العهد وهي هذه بحرفها:

قف بي على دار جما المسمى بجلب بالدرايه (؟)
دارت الباب جا اللي ثبت استوى والمود عاده (؟)
شادها عثمان ذي الاحسان من السادة (؟)
فانظر المنارة سهلا هذه دار السعاده (؟)

ولما طفتُ في قرى الناحية فدخلت احدى قراها المسماة قرية عبلين وفيها من بعض الاثار جامع من اهم المواقع جمالاً محكم الوضع بديع الصناعة مع نفاسة البناء وحسن المنظر لكنهُ في يومنا كالثوب الخلق البالي وما فيهِ سوى منارة باقية مع لوحة من المرمر على باب المسجد كُتب عليها هذا التاريخ:

قد بيت جامع بشرت به مؤذن الشاعر
انشاه يوسف مخلصاً والله اعلم بالسرائر
من آل زيدان الاولى شخت بصنعهم الدفائر
ارخ على التقوى تأسس والكمال جمال ظاهر

ويوجد في الناحية من جميل الاثار المهمة الثمينة نوع من البلور الصافي وعلى تداول الاوقات تجد هذا البلور لابساً اكليلاً من الذهب وفيها ايضاً مدافن كثيرة عليها آثار وكتابات يونانيَّة من عهد ملوك الروم البزنطيين الذين ملكوا في القرون السالفة وهناك ايضاً اربعون قرية واكثر وكلها مندرسة لم يبقَ من آثارها سوى نبع الماء وتاسيس قديم يدل على عمران تلك الديار هذا وان هواء الناحية لطيف جداً ومياهها متنوع الطعم وتجارتها آخذة بحسن التقدم والارتقاء وسكان القصبة نفسها اربعة آلاف نفس والاخلاق فيها تحتاج الى جوهرجي حاذق في علم المعادن لجلائها وتهذيبها واظهار جوهرها الاصلي والامل وطيد ان شفا عمر ستكتسب جمالاً ورواجاً مع عموم تلك البقاع وجوارها بتخطيط السكة الحجازيَّة التي خُطت على جبين الدهر اثراً حميداً وقربت مجالاً كان بعيداً ولهجت الالسن بالدعاء لحضرة ذي العزة والجلال بدوام صاحب

الشوكة على اريكة السلطنة السنيَّة مولانا الغازي السلطان الاعظم عبد الحميد خان الثاني ادام الله لوائه السامي

مُلحق

فوائد للاب انطون رباط اليسوعي

نثني على همة صاحب المقالة الاديب ذي الرفعة محمد سليم افندي الانسي مدير شفا عمر سابقًا ونشكر له تلطفه ورغبته في نشر بعض الآثار المتعلقة بشفا عمر سيما واننا لمَّا كنَّا قد زرنا هذه المدينة في السنة الماضية للتبشير والكرازة اتيح لنا فيها مقابلة حضرته فلقينا عندهُ من حسن المجاملة والصداقة ما لا تزال تتذكرهُ اطيب ذكر. وقد اغتنمنا فرصة زيارتنا لشفا عمر فجمعنا بعض المعلومات نضيفها هنا تتمَّة للفائدة

﴿ السفر الى شفا عمر ﴾ تبعد شفا عمر عن عكاء وحيفا نحوًا من ساعتين ونصف الى الثلاث ساعات على الراكب وهو لا يجد مشقة تذكر اللهمَّ ان لم يسر زمن الشتاء والامطار فان السهول الخصبة اذا غمرتها المياه وتجمعت في بعض مجاريها اصبحت غدرًا ومناقع تغوص فيها قدم الدابة في كل خطوة وهذه التربة ممتدة طولًا وعرضًا حتى حدود عكاء . واستثمارها يضمن لمستقبل البلاد خيرًا سيما اذا مدَّت يد المساعدة فأمن الزارع على زرعهِ وانتفع من سرعة المواصلات والتسهيلات الفنية الحديثة التي يجهلها تمامًا. وزد عليهِ انهُ كثيرًا ما يخشى جيرانه الهوشيين فيتقاعد عن العمل ولا شك ان تقدم حيفا ونجاز الخط الحديدي يعود بالنفع على الزراع المجاورين

فاذا سرت قليلًا ترأت لك شفا عمر على قمة مشرفة على الانحاء المجاورة وفي اعاليها السراية او القلعة البديعة المشهد كانها نسر يرفّ على وكرهِ لكنها الان كما قال حضرة الكاتب متضعضعة الاركان تكاد ان تكون خرابًا ولو رممت لأصبحت قلعة ودارًا بديعة للحكومة السنيَّة

﴿ بساتين شفا عمر ﴾ لا نزيد بذلك بساتين الزهور والاثمار لكن بساتين الزيتون المحيطة بشفا عمر من كل اطرافها والزيتون من اهم محاصيلها فاذا ما جاء زمن الحصاد انتشر السكَّان كبارًا وصغارًا نساء ورجالًا يقتنون الاسابيع الطويلة في جمعهِ

وتنقيته . ويؤخذ على الملّاكين انهم لا يسهرون على تجديد غرس ما هرم من زيتونهم ونخر السوس ساقهُ فاشرف على التلف وقد ينتهم عن ذلك على ما قيل صعوبة حفظ الغرس الناشيء الضئيل من عبث المارين وتلك القطعان به . وقد يكون لهذا التهاون اسباب أخرى اهمها تكاسل الانسان عن الاهتمام بما لا يأمل منهُ المنفعة القريبة فالزيتون لا بد لهُ من سنين لينمو ويثمر والانسان كثيرًا ما ينسى قول من قال: زرعوا فأكلنا زرعنا فأكلون

﴿ مياه شفا عمر ﴾ على مقربة من شفا عمر عين ماء طيبة منها يستقي السكان فترى صباح مساء النساء والبنات صادرات عن الماء وهنَّ يحملنَ جرارهنَّ على الرؤوس بلباقة ويتمايلنَ مع ثقلها متبخترات كما تفعل غيرهنَّ من سكان المدن اذا ما سرنَ مشدودات يجررنَ الذيول . وليس لشفا عمر خلا هذه العين ماء فاذا قلّت الايام الماطرة في الشتاء وطالت هاجرة الصيف نضبت العين او كادت كما حدث في السنة الماضية فأُلجئ السكان الى الذهاب سفر اربع او خمس ساعات ليأتوا بالماء وليس لهم الّا آبار قليلة العمق فيها تجتمع مياه الامطار لكنها لا تصلح للشرب لقلة ثمانها وهي لا تكاد تفي بحاجات المنازل والدواب والقطعان

﴿ سكان شفا عمر ﴾ كان العارفون منذ ٢٠ سنة يحسبون سكان شفا عمر بين ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ امّا الآن فقد يبلغ عددهم نحوًا من ٤٠٠٠ وقد علمنا شفاهًا من حضرة صاحب المقالة انهم يُقسمون ثلاثة اقسام ثلث من المسيحيين وثلث من المسلمين وثلث من الدروز . والمسيحيون اكثرهم من طائفة الروم الكاثوليك وقليلون من طائفة اللاتين ولهم مدارس ناجحة وهم ذوو ايمان ثابت وسذاجة وتقوى . وللملكيين كنيسة جديدة بنوها بغيرة مذكورة وقد اخبرونا ان الشفاعمريات نساء وبنات كنَّ يذهبنَ يستقينَ الماء وياتينَ بها البنّائين اقتصادًا للمصاريف وشهادة لتقواهم بينما كان عدد من الرجال يشتغلون بالبناء في بعض الايام مجانًا لوجه الله . والفضل في تهذيب البنات لراهبات الناصرة الفاضلات اللواتي لا يزلنَ منذ اربعين سنة يخدمنَ هذا الشعب بحب وتفانٍ وغيرة لا تعرف الملل ولهنَّ مدرسة للصغيرات واخويتان تضم مجمل البنات والنساء فيجتمعنَ يوم الاحد للصلاة وسماع كلام الله وتهتم بهنَّ راهبة نشيطة كانت من سيدات بيروت المعروفات فهجرت كل شيء وتبعت يسوع لتخدمهُ

كلمةٍ لهُ ولخادماتهِ . وللراهبات ايضاً صيدلية مجانية او مستوصف يؤمُّهُ كل يوم عدد عظيم من المرضى واصحاب العاهات من كل الملل فيُعطون الادوية مجاناً ويعودون ولسانهم يثني ويبارك . والشفاعمريون رجالاً ونساءً يكرمون الراهبات وينقادون لمثلهنَّ وكلامهنَّ وقد رأيتُ امراً يطيب ذكرهُ هو ان البنات اردنَ ان يقدمنَ هدية للرئيسة يوم عيدها فذهبنَ جميعاً الى الاحراج وعوضاً عن ان يجمعنَ باقة زهور ذابلة احتطبت كل واحدة حملة من الحطب وجاءت بها مؤنة لعلمائها الفقيرات

﴿ اسم شفا عمر ﴾ وبعد هذا الوصف لمشاهد شفا عمر يجدر بنا ان نضيف الى ما تقدَّم بعض فوائد علمية عن اسم المدينة وتاريخها وآثارها . هي مدينة او قرية عريقة في القدم لم يأتِ ذكرها في الكتب المنزلة واوَّل من ذكرها اصحاب التلمود البابلي في القرن الرابع او الخامس في اخبارهم عن تنقُّلات المجمع الاسرائيلي بعد خراب اورشليم من القدس الشريف . فاقام قبل انتقاله الى طبريَّة في بعض القرى منها شفرعم שפרעם كما رأيت ولم تعرف عند الكتبة الى القرن الثامن عشر بغير هذا الاسم وهي كلمة من שפר سفر او كتاب و עם الشعب فيكون معناها سفر الشعب

وذهب البعض — ولا ندري على اي شيءٍ يبنون زعمهم — ان معنى شفرعم المكان المرتفع الذي منهُ يمتدّ النظر الى البعد فاذا صح هذا التأويل وافق الاسم المسمى فانك اذا ما نظرت من اعالي البلدة شاهدت مشهداً بديعاً تحدّه سلسلة الكرمل ويمتد الى حيفا وعكا ومسافة شاسعة من سهول الجليل وقراه وخرائبه . قال صاحب كتاب مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع : شَفْرَعَمْ بفتح اوله وسكون ثانيه وفتح الراء ثم عين مهملة مفتوحة وميم مشددة قرية كبيرة بينها وبين عكا لساحل الشام قرب ثلاثة اميال (١ وقد جاء ذكرها مراراً في اخبار الصليبيين فسماها كتابهم (Safran) وهو تصحيف او نقل اسمها المعروف شَفْرَعَمْ (Chefaram =Sefaram=Safram) ولم يعرفها الرحالون بغير هذا الاسم وظن المحدثين حرفوا الاسم لغرابتهِ فنقلوهُ الى لفظ ومعنى عربي فقالوا

١) صفحة ١١٧ من طبعة (Juynboll) في ليدن (Leide) سنة 1853

شفا عمر فقام الاسم الجديد المحرف مقام الاسم الاصلي . وقد اشتهرت في الازمنة المتوسطة خمرة شفا عمر ولا ندري هل حفظت شهرتها القديمة

﴿ آثار قديمة ﴾ دعانا حضرة الاب الجليل الخوري انطون بحوث احد كهنة الروم الكاثوليك الى زيارة مدافن شفا عمر فسرنا برفقته غير بعيد عن البلد في منحدر قلّة وشاهدنا مدافن قديمة محفورة بالصخر واخذنا وصفها لكن حضرة الاب ميشال جوليان اليسوعي كان قد سبقنا الى زيارتها ونقل ما فيها من الصور والكتابة وكانت عند فتحها لاول مرة تحتوي عظاماً وآثاراً قديمة اما الان فقد ملأتها المياه الموحلة . ومدخلها يمثل شمساً وحيوانات وطيوراً واثماراً وفي الوسط على باب المدخل ترى صليباً مع الاحرف اليونانية AΩ تلميحاً لقول المسيح انا الالف والياء البداءة والنهاية الاول والآخر (رويا ٢٢ : ١٣) وذلك يشهد انهُ اثرٌ مسيحي

ومن الاثار الخطية نص قرأهُ حضرة الاب جوليان اليسوعي كما يلي:

KEXPE KAIEAE
BOHΘΙΣΑΜ HKONME
(ΩN) TEKNΩN

ومعناها على رأيه : ايها السيد المسيح ساعد ساء [ويل] وارحم اولادي

واذا سرت على مسافة رأيت اثراً آخر محفوراً على الصخر باحرف ضخمة لا يزال العارفون يتباحثون في حقيقة معناه

فارتأى الاب فان كستن العلامة اليسوعي انهُ علامة الحدود السبتية اي التي لا يجوز لليهودي ان يتعداها في السبت فقرأ TΓΟΥΜ ΑΣΒΑΤ او بالحرف العبراني תחום השבת تخوم السبت او حدودهُ ولم يوافقهُ كارمون غانو (Archæological Researches in Palestine, T. II, 237) ولا الاب جمر دوران (Revue Biblique 1895 p. 72) لانهُ رأى صليباً محفوراً على اعلى المكان وذهب ان الكتابة يونانية اللفظ والمعنى فقرأ

CAB ΗΓΟΥ
ΜΑ ... ΡC ΒΑΝ

واولّها (Σάββας ἡγούμενος Λαύρας Βάν) اي سابا رئيس دير بان (وبان اسم دير)

هذا ما نعرفهُ عن شفا عمر ذكرناه بالايجاز تتمة لما سبق في مقالة الكاتب الاديب

زيت البترول ومواطنهُ

نبذة للاب لويس دي انسلم اليسوعي

انَّ الحوادث التي جرت مدَّة هذه الاشهر الاخيرة في مدينة باكو استفزت ارباب التجارة فخافوا ان تنقطع تلك الاحواض الغزيرة من زيت البترول التي كانت تمتار منها اكثر البلاد . كيف لا وقد اضحى هذا الوقود احد اركان تمدُّننا الحالي يجاري الفحم الحجري في فوائده ولعلَّهُ يقوم يوماً مقامهُ اذا ما نفدت في قلب الارض المناجم الفحميَّة

ولمَّا كانت هذه المسألة تشغل العقول وكثر فيها القال والقيل اردنا انْ نفرد للبترول مقالةً نبحث فيها عن تاريخه وتركيبهِ ومنافعهِ المتعدِّدة واخصّ البلاد التي يُستخرج منها

*

﴿ تاريخهُ واسماؤهُ ﴾ عُرف البترول منذ سالف الازمان فانَّ ذكرهُ وارد في اقدم المؤرخين الَّا انَّ اسماءهُ كانت تختلف على حسب مواطنهِ او على اختلاف اصنافهِ المعروفة فدعاهُ اليونان اسفلتس (ἄσφαλτος) التي اشتقَّ منها العرب لفظة الزفت وسمَّاهُ كتبة الرومان بيتومن (bitumen) . وذكر هيرودتس ابو التاريخ انَّ زفتة احدى جزائر اليونان كانت تنبع فيها ينابع هذا السائل منذ قديم العهد . وكذلك اغريجنتي من مدن صقلية وقد روى ديوسقوريدوس عن اهلها انهم كانوا يتَّخذون دهنهُ ليستصبحوا بهِ . والمظنون ان اليهِ اشار موسى في سفر تثنية الاشتراع (٣٣،١٣) فدعاهُ زيت الصوَّان اي زيتاً معدنياً . امَّا العرب فعرفوهُ باسم النفط اذا كان ابيض ودعوا الاسود منهُ حُمَرًا وقَفرًا وقارًا وقيرًا وزفتًا . وقد ذكر المسعودي نفَّاطات باكو في جبال القوقاز . ووصف غيرهُ حمّر بحر لوط وقيَّارات الموصل . وقد غلب اليوم عليهِ اسم البترول (petroleum) من لفظتين لاتينيَّتين معناهما زيت الحجر كما سمَّاه موسى النبي . وشاع في بلادنا اسم الغاز او الكاز وليس اسمهُ هذا مطابقاً لمسمَّاهُ لأنَّ اسم الغاز قد خُصَّ اليوم بالموانع غير السائلة وان يدخل في تركيب غاز التنوير عناصر مشابهة لعناصر البترول كما سترى

﴿ تركيبهُ واصنافهُ ﴾ البترول احد المركّبات المديدة التي تتألّف من عنصري الكربون والهدروجين الاصليين . وهذه المركّبات تكون على ثلثة احوال فمنها سيّالة غازيّة كالايتيلين والاسيتيلين ومنها سيّالة مائعة كالنفط ومنها جامدة كالنفتالين والحمّر

والكيمويّون يقسمون مركّبات الهدروجين والكربون الى عطريّة ودهنيّة فالعطريّة كالبترين والكافور والدهنيّة كالفازلين وقذر اليهود ومنها زيت البترول . وتكون هذه الاجسام الدهنيّة اما مشبعةً بعنصر الهدروجين كالپارافين ومنها غير مشبعة والبترول داخلٌ في هذا القسم الاخير

والبترول كثير الوجود في الطبيعة تكنّ انواعهُ مختلفة الاعراض من لون ورائحة وصفاء وثخوجة وثقل نوعي فمنهُ ما يكون صافياً نقيًّا مصفرًّا كبترول باكو وهو اجودهُ ومنهُ ما يكون مخضرًّا كمدًا ومنهُ ما يضرب الى الحمرة او الى السواد . ويكون بعضهُ سيّالاً لطيفاً شفّافاً وبعضهُ الآخر كدرًا كثيفاً يشبه القطران ومنهُ ما يزيد كثافة في الهواء فتتبخّر اجزاؤهُ المائعة ويتحوّل الى قار او الى حُمَر . والجنس الشائع في التجارة هو الذي يبقى على سيولته في الهواء الكروي . ورائحة البترول في الغالب كريهة حرّيفة ومنهُ ما يُشتمّ منهُ رائحة ثوميّة . واذا اوقد في الفضاء استحال الى بخار وطار على هيئة دخان كثيف ذي رائحة كريهة مؤذية للصحة

﴿ تصفيتهُ ﴾ قلّما يوجد البترول في الطبيعة نقيًّا لا يحتاج الى تصفية . واذا خرج من ينابيعهِ كان مختلطاً بغازات شتّى وربّما ضغطتهُ هذه الغازات ضغطاً قويًّا حتى تفتح لهُ مجرًى في قلب الارض كالمياه المضغوطة التي تنبجس من عيونها . واذا ارادوا تصفيتهُ جمعوهُ في اوعية كبيرة او في آبار واسعة بعيدة الغور يحتفرونها في عمق ٢٠٠ الى ٦٠٠ متر ثمّ يستخرجون المائع بالمضخات (الطلمبات) البخاريّة التي تحرّكها ابخرة الغازات نفسها فيجري البترول الى آنية كبيرة اسطوانيّة من صفائح الحديد المطروق وتكون اذ ذاك كثافتهُ بين ٠,٨ و ٠,٩

ثمّ يُجتنى البترول واوّل ما يتطاير منهُ من درجة الصفر الى ٤٥° غازات سريعة الالتهاب كانت متحلّلةً فيهِ يدعونها ميتان (méthane) ثم اذا زادت الحرارة الى ٧٠° تطايرت الفازولين المدعوّة ايضاً بانزين البترول ثمّ روح البترول او زيت النفط بين ٧٥° الى ١٢٠° وفوق هذه الدرجة يحصل على البترول المستعمل في المتجر حتى اذا بلغت

الحرارة الدرجة ٢٨٥° لم يبقَ سوى زيوت تُعرف بزيوت ثقيلة فيدَعونها تبردُ ويحصلون منها بالضغط على سائل يُدعى الزيت الاحمر ويبقى ثفلُهُ فيتخذون منهُ البارافين (paraffine) والفازلين (vaseline) واذا استقطروا هذه الحاصيل نالوا بالاستقطار ما يدعونهُ بالقطران واذا احموها الى الحمرة تطايرت منها اجسام غيرها وبقي ما يسمونهُ الكوك (coke)

﴿ منافع البترول ﴾ لا يضيع شيء من محصولات البترول المستقطرة فان الغازات المنبثة منهُ تُستعمَل كقوَّة محرِّكة لادوات المعامل او كموادَّ صالحة للانارة . والفازولين تُستعمَل في الطبّ لتبنيج المرضى . كثافتها ٠,٦٥ وهي على هيئة مائع حادّ الرائحة لا لون لهُ واذا تبخَّرت في الهواء برَّدتهُ برودًا محسوسًا . اما روح البترول فكثافتهُ ٠,٧٠ وهو سريع الالتهاب يجعل في المصابيح الاسفنجيَّة لتحليل الاجسام الدهنيَّة والمطَّاط (الكاوتشوك)

اما البترول التجاري فتبلغ كثافتهُ ٠,٨٠ لا يصفو تمامًا الَّا بعد تكرار غسلهِ وفوائدهُ لا تحصى اشهرها لاستعمالهُ للاستصباح واذا اوقد رأيتَ نورهُ لامعًا ساطعًا شديد البياض يُجعَل في مصابيح خصوصيَّة تكون خوازنها قريبة من رأس الذبالة (الفتيلة) لأنَّ جاذبيَّة البترول الشعريَّة (capillarité) ضعيفة فلا يصعد الَّا بطيئًا الى الذبالة التي يُقتضى لها ان تكون مسطَّحةً او مستديرة ولا تعلو كثيرًا فوق طرف جهازها لئلَّا تنبعث منها الجزة ضارَّة . وقد يساوي الليتر من البترول كيلوغرامين بنيف من الشمع وهو ارخص منهُ باربعة اضعاف

ومن فوائدهِ انهُ يُتَّخذ كوقودٍ ويستغنى بهِ عن الفحم الحجري اما على هيئتهِ واما بعد تجفيفهِ على صورة قِطَع كاللِّبن وقد جعلت عدَّة معامل تلتجئ اليهِ وتفضّلهُ على سواه . وكذلك تستعملهُ بعض الشركات من السكك الحديديَّة والسفن التجاريَّة لا سيما في روسيَّة والمانية وامركة وترى في استعمالهِ اقتصادًا من النفقات لانَّ قوَّة حرارتهِ تبلغ ١٠,٠٠٠ مرَّة مقياس الحرارة فضلًا عن كونهِ لا يشغل مكانًا كبيرًا كالفحم الحجري وهو ارخص منهُ وقد اتَّخذوا اجهزة خصوصية تلافيًا لاضرارهِ (المشرق ١ : ٢٤٥)

ومن فوائدهِ ايضًا انهُ جسمٌ صالح لتطهير الموادّ المتنة والاماكن الوبيئة . والاطبَّاء يدلكون بهِ الجلد في وجع الاعصاب والامراض الجلديَّة ويصفون شربهُ لمن يريدون

تعريتهُ . وكان المرحوم الاب فيروفيش يستعملهُ في الهواء الاصفر فيُجرع منهُ المصابين بعض جرّعات فاذا عرقوا نجوا من الداء

امَّا الزيوت الكثيفة الباقية بعد استخراج البترول فتصلح كموادّ وقَادة وبها تُنظَّف الادوات الحديديَّة . والپارافين المستحضرة بها تدخل في تركيب الشمع وتُطلى بهـا الاقمشة فتجعلها مشمَّعة لا ينفذ فيها الماء

وما يُقال بالاجمال انَّ مئة قسم من البترول الطبيعي يُعطي قسمين من الاثير و٢ قسماً من الزيت المعدني و١٦ قسماً من الزيت المنظَّف وقسمين من البارافين وستة اقسام من الكوك فيكون الضائع منـهُ قليلًا جدًّا لا يتجاوز قسمين او ثلاثة اقسام في المئـة

﴿ اصلـهُ ﴾ قد اكثر العلماء من البحث في اصل البترول وتكوينهِ في جوف الارض فارتأوا في هذا الصدد الآراء المتباينـة فمنهم من زعم انَّ الحرارة الموجودة في باطن الكُرَة عملت في هياكل الحيوانات القديمـة وفي النابات التي سبقت الاطوار التاريخيَّة فحلَّلتها ومن تحلُّلها نتج البترول

وقد زعم غيرهم انَّ الحرارة الارضيَّة تعمل في الفحم الحجري فتنبعث منهُ ابخرة وغازات تبرد فتنعقد سائلةً كما تنعقد الابخرة المتصاعدة من البحار فتتهطل بالامطار

امَّا الرأي الذي يرجحهُ اليوم العلماء فهو رأي المسيو برتلو الكيموي الشهير القائل بأنَّ الابخرة المائيـة التي لا تزال تتكوَّن في قلب كرتنا الارضيَّة اذا تصاعدة لقيت في طريقها عناصر معدنيَّة ممتزجة بالكربون فتحلِّلها وتمتزج هيدروجينها بكربون هذه المعادن فيحصل البترول من هذا التركيب

والبترول الخام كثيرًا ما يكون مصحوبًا بغازات شتَّى ذات قوَّة دافعة غريبة حتى اذا ثُقِب لهُ ثقب تبجَّس واندفع في الجوّ كالنوفرة الى علوّ ٨٠ مترًا بنيِّف . ومنـهُ ما تكون فيهِ هذه الغازات خفيفة فاذا بلغ الى وجه الارض جرى كسيول المياه . ومنهُ ما لا يظهر على وجهِ الارض فيُستقى من آبار عميقة ويستخرج بواسطة المضخَّات القويَّة

﴿ مواطنهُ ﴾ مواطن البترول متعدّدة جدًّا . واشهرها جبال القاف او القوقاز وقد عرفت هذه المناجم منذ العهد القديم وكان مركزها مدينـة باكو فانَّ النفط كان يخرج من جوارها وربَّما التهب على وجهِ الارض . فاتَّخذ المجوس وتبعهُم زرادشت تلك

المدينة كمكان مقدّس جعلوا يحجّون اليهِ لعبادة النار وكان لهم فيها هيكل شهير تتوقّد في جهاتهِ النيران على اشكال غريبة فيسجدون لها ويتفآلون بأجيجها حتى ظهر هرقل ملك الروم فاطفأ تلك النيران واخرب ذلك الهيكل وشتّت شمل كهنتهِ . الّا انّ مجوس الهند والعجم المعروفين بالپرسيس كانوا يأتون كل سنة لزيارة باكو فجدّدوا فيها ابنيةً لعبادتهم . امّا مناجم البترول فتمتدُّ في تلك الانحاء على طول ٢٤٠٠ كيلومتر مربّع وامتدادها على خطّ موازٍ لمنعطف جبل القوقاز الجنوبيّ سائرة من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربيّ . والبترول في احواض طبيعيّة يختلف عمقها فبعضها يوجد فوق سطح البحر بمئتي متر ومنها ما هو على عارٍ ٣٠٠٠ . امّا معدّل اتّساع هذه الاحواض فستّة عشر الف متر لم يُستثمر منها الّا قسم قليل . ويوجد احواض كثيرة لم يمسّها احدٌ من التجّار حتى الان . ومناجم باكو وحدها يمكنها ان تشغل العملة مدّة سنين طويلة فانّ اصحابها لم يفتحوا مخازن بتروفا سوى في خمسة كيلومترات مع انّ اتّساع مساحتها لا ينقص عن ١٩٠٠ كيلومتر مربّع

امّا عدد البئر التي حُفرت في باكو فكان سنة ١٩٠٠ نحو ٢٨٠٠ بئر يشتغل فيها ٢١,٢٥٣ عاملًا فاستخرجوا عشرة آلاف الف طنّ من البترول عاد للدولة من ارباحها مئة مليون فرنك كحقوق رسم ونقل واليوم قد اتّسعت اعمال البترول حتى بانت الابار ٣٠٠٠ بئر . فترى من ثمّ انّ الخسائر التي لحقت باكو بسبب حريق معامل النفط ليست في الدرجة التي ظنّها البعض فانّها لم تتجاوز ١٠٠ مليون روبل اعني اربعمائة مليون فرنك . وقد تمكّن ارباب المعامل من اطفاء حريقها بسدّ منافذها والقاء الكبريت في فوّهاتها . هذا فضلًا عمّا يوجد من مخزونات البترول المهمّة في المستودعات

وقد وُجدت ايضاً مواطن أخرى من النفط في بلاد القريم غنيّة بيأنها ولمّا فُتحت فوّهاتها تنفجر منها النفط بقوّة غريبة حتى رفع صخوراً كبيرة في الفضاء كسرت في ارتفاعها لخشاباً غليظة

وفي بحر قزوين جزيرة تشاليكين فيها احواض واسعة من جنس نفطٍ خصوصيّ يُستخرج منهُ البارافين والشمع المعدنيّ (cérésine) . وكذلك في روسيّة اوربّة مناجم نفطيّة اخرى كما انّ منها ايضاً قسماً صالحاً في جهات البلقان

وفي البلاد الاسيويّة احواض نفطيّة غير التي ذكرناها فانّ في بلاد الهند الانكليزيّة

مستودعات من البترول يبلغ ما يُستخرَج منها في السنة نحو ٢٠٠,٠٠٠ طنّ وكذلك يُستخرَج من مناجم النفط في الصين نحو ١٠٠,٠٠٠ طنّ . ولليابان مناجم غنيَّة بنفطها وبغحمها الحجري الّا انّ استثمارهما محصور لا يُنتفع الّا بقسم زهيد منهُ يبلغ في السنة من ٦٠,٠٠٠ الى ٨٠,٠٠٠ طنّ . ولا تخلو بلاد العجم من ينابيع النفط الغزيرة يُستخرَج منها شيء قليل من جهات شوستر ودلاكي وفي معاملة جيزاخان

وان اقتربنا من الممالك المحروسة وجدنا فيها مناجم النفط . موقعها في بلاد العراق في الجهات التي يسقيها نهر الفرات ودجلة . وقد سبق ديودرس الصقليّ فذكر انها اشتهرت في زمانهِ وانّها وافرة لا تنفد . وفي جهات الموصل وكركوك منها بقايا حتى اليوم (راجع في المشرق مقالة القس ادي ابرهيما ٣ : ١١٦) . ولا شك انهُ يوجد غيرها ايضاً (المشرق ٢ : ١٣١) وانّما الجيولوجيون وعلماء الطبقات الارضيَّة لم يفحصوا ذلك فحصاً مدقّقاً

وقد وُجد البترول في جهات سويس لاسيما في الجبل المعروف بجبل الزيت وهذا الاسم قديم عرفهُ الرومان فدعوهُ بجبل الزيت الحجري (mons petroleus) وكان قدماء المصريين يتّخذون النفط لتحنيط موتاهم واستخدموهُ ايضاً في استخراج الذهب والرخام المجزّع في معادن بنغازي بين قصير وبرنيقة . كذلك في شبه جزيرة تماح على شواطئ بحر القلزم احواض من البترول لم يسعَ احد حتى اليوم في استثمارها

الّا انَّ البلاد التي تجاري روسية في مناجمها النفطيَّة انّما هي الولايات المتحدة . ودخول البترول في المتجر انّما كان اوّلاً فيها . فانَّ بعض الاميركيين من ارباب الدعاوي اسمهُ دراك بينما كان يحفر ركيَّة قرب مدينة تيتوڤيل من اعمال بنسلڤانية اذ تفجّرت منها ينابيع البترول فاختبرهُ بالنار فوجد نورهُ ساطعاً بعد تصفيتهِ فتشارك مع بعض زملائهِ وربح من عملهِ ارباحاً طائلة فلم يلبث مواطنوهُ ان جاروهُ في العمل فشاع منذ ذاك الحين البترول وعزل الزيوتَ النباتيَّة . واحواض البترول في الولايات المتّحدة غنيَّة لاسيما في بنسلڤانية وجهات نيويورك وكاليفرنية وڤرجنية الغربيَّة واوهيو وكنتوكي وفي كاندا قيل ان اتساعها في الولايات المتحدة يبلغ ٩٢١,٣٥٥ كيلومترا مربعاً اعني انَّ مساحتها كمساحة انكلترة وفرنسة وبلجكة معاً . ومعدّل ما يستخرج منها في السنة نحو ٥,٠٠٠,٠٠٠ طنّ وآبارها المفتوحة نحو ٥٠٠ ومع وفرة ما يُستخرج فيها من البترول

لا تزال الاولية لباكو وجهات القوقاز . واذا قابلت محصولها بمحصول الولايات المتحدة كانت اربعة اضعاف اوفر منها . حتى انَّ الجيولوجيين قد شبَّهوا باكو ونواحيها باسفنجة مغموسة في البترول بدلًا من الماء . وقبل ان تنفد خوازنها سوف يمرّ عليها قرون كاملة . واذا زدت على هذه المناجم احواض استرالية وزيانده مع ما يستخرج منهُ في بعض جهات اوربَّة غير روسيَّة كالمانية وغاليسية ورومانية رأيت صحَّة قولنا في اوَّل مقالتنا من انَّ البترول قد دخل الآن في لوازم التمدُّن الحالي وانَّ ثروتهُ اوسع من ان تنفد . فلهُ تعالى الشكر على ما انعم لسدّ حاجات خلقهِ وهو يفتح لهم كلّ يوم بابًا جديدًا من الرزق فسبحانهُ وتعالى اسمهُ مدى الدهور

ناصيف المعلوف وأُسرتهُ

بقلم عيسى افندي اسكندر معلوف مدرّس آداب اللغة العربيَّة والخطابة في المدرسة الشرقيَّة في زحلة (تتمَّة)

٧ في المناصب التي تولَّاها ناصيف معلوف وفي مترلتهِ لدى العلماء

ولمَّا ذاعت معارف ناصيف وتآليفهُ في انحاء الممالك المحروسة غنا ايضًا خبرهُ في اوربَّة فطلبهُ اللورد رگلن (Raglan) بصفة ترجمان فاجاب الى طلبهِ برخصة الدولة السنيَّة ورافقهُ في اسفارهِ وذلك في اوَّل آب سنة ١٨٥٥ وبقي في منصبهِ الى ٣٠ ايلول من السنة التالية وكان مع قيامهِ باعباء رتبتهِ يدرّس اللغة التركيَّة عددًا من رفقتهِ حتى اكتسب ثقتهم . وكان في اثناء ذلك يخدم الحكومة السنيَّة اصدق الخدم حتى انعمت عليهِ بالوسام المجيديّ الاول في تاريخ جمادى الاولى سنة ١٢٧١ (١٨٥٤ م)

وفي سنة ١٨٥٦ ذهب ناصيف الى مدينة لندن فنال الحظوى لدى العلماء الانكليز ونظمتهُ جمعيَّة الاثينيوم العلميَّة في سلك اعضائها فشكر لهم هذه النعمة في رسالة تاريخها آب سنة ١٨٥٧

وبقي في عاصمة الانكليز الى شهر تشرين الاوَّل من السنة المذكورة فبرحها الى مدينة بخرش (Bucharest) حاضرة بلاد رومانية وانضمَّ الى السر هنري بُلوِر (Bulwer) معتمد انكلترة وبقي في خدمتهِ . ثمَّ رافقهُ الى الاستانة العليَّة في حزيران من السنة

١٨٥٨ بصفة ترجمان وكان يدرّسهُ اللغة التركيـة ولهُ قدّم معجمهُ التركيّ الفرنسويّ كدليل على شكرهِ لهُ وصدّرهُ بصورتهِ

وفي العام القابل فرغ منصب الترجمان الاوّل لقنصليّة انكلترة في ازمير فتهيّأ لهذا المقام برخصة الدولة العليّة وباشر باعبائهِ في ايّار من السنة فقام بها وُكل اليهِ احسن قيام حتى اكتسب رضى الدولتين معاً

وبقي ناصيف بعد عودتهِ دائبًا في عملهِ منكبًّا على التأليف مع تصحيح ما طبع من الكتب واعادة طبعها . وكثيرًا ما كان ينسخ بخط يدهِ مؤلفاتهِ مرّتين او ثلاثًا

وفي غرّة تشرين الاوّل سنة ١٨٦٣ نشر بعض العلماء سيرة حياتهِ باللغة الافرنسية في جريدة رائد الشرق (courrier d'Orient) ثمّ طُبعت على حدة في ١٩ صفحة وعنها وعن غيرها من المقالات لخصنا سيرتهُ هذه . وهكذا كان ناصيف يشتغل بدون ملل الى ان انحطت قواه عملًا بقول الشاعر :

واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادهـا الاجسامُ

ولمّا كانت سنـة ١٨٦٥ وفد الهواء الاصفر الى القطر المصري ثم اتصل ببيروت وامتد الى الاساكل والمدن الداخليّة ففتك فتكًا ذريعًا ولمّا فشا في ازمير اوعز الاطبـاء الى ناصيف ان يشخص الى بعض عواصم اوربة ترويحًا للنفس فعمل بمشورتهم ولمّا انقطع دابر الوباء من ازمير عاد اليها مريضًا واصطاف في قرية كوتجه بظاهرها فلم يلبث ان قضى نحبهُ فيها في ١٤ ايار من هذه السنة (١٨٦٥) غريبًا عزيبًا فنقل الى ازمير ودفن في كنيسة الآباء الفرنسيسكان وقد ارخت وفاتهِ ببيتين تراهما تحت رسمهِ الذي نُشر سابقًا (ص٩٦٦)

هذا وقد نال الفقيد لدى معاصريهِ وكبار رجال عهدهِ ثناء طيّبًا حتى لو اردنا تدوين كل ما كُتب في محامدهِ لطال بنا الكلام . واوّل ما يُقتضى علينا ذكرهُ منزلتهُ لدى دولتنا العليّة أيّدها الله فاحسنت اليـهِ بالوسام المجيدي الخامس بموجب براءة سلطانيّة تاريخهـا اواسط شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥) لم تزل محفوظةً كدليل التعطّفات الشاهانيّة على رجل من رعاياهـا المخلصين . وتنازل جلالة السلطان الغازي عبد المجيد وقبل هديّة تآليفهِ . وادرجت جمعية العلوم والآداب التركيّة (انجمن

دانش) التي نشئت في الاستانة سنة ١٨٥١ اسم ناصيف في سجلّ مختاريها ونخبة رجالها كما احصتهُ الجمعيّتان الاسيويّتان الفرنساويّة والبريطانيّة في عداد اعضائهما واثنا على همّتهِ

واهداهُ جلالة ناصر الدين شاه العجم وسام الاسد والشمس (شير خورشيد) من الطبقة الرابعة ببراءة تاريخها ربيع الآخر سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩م) . ولقد فتحت جرائد الممالك المحروسة من عربيّة وتركيّة وارمنيّة اعمدتها لمقالات ناصيف معلوف وتقريظ مؤلفاتهِ والثناء عليهِ مثل جرائد الاستانة العليّة وازمير وبيروت (حديقة الاخبار) وتكرّر اسمهُ في الجرائد الاوربيّة ومجلّاتها كباريس ولندن وبخارست ومالطة تنعتهُ بعالم متضلّع باللغات الشرقيّة ومستشرق شهير احرز لهُ سمعة حسنة ليس في الممالك العثمانية فقط بل في عواصم اوربّة ايضاً . قال غرسان دي تاسي احد مشاهير العلماء في فرنسة « ان تآليف ناصيف معلوف تنطق لهُ بسعة المعارف والاجتهاد » . ولمّا اعاد الطبّاع ميزونوف (Maisonneuve) في باريس طبع معجمهِ الفرنسوي التركيّ الذي طُبع اوّلًا في ازمير سنة ١٨٤٩ تولّى مراجعة مسوداتهُ العلّامة اوبيشيني فصدّرهُ بمقدّمة بيّن فيها فضل الكتاب وافاض في محامد صاحبهِ وتوسّع في خواصّ مؤلفاتهِ كسهولة طريقتهِ ووضوح عبارتهِ وتضلّعهِ باللغات الشرقيّة

واعظم من هذه الشهادات شهادة المسيو بيانكي وكان اوّل من عُني بين المستشرقين في وضع معجم فرنسوي تركيّ طبعهُ سنة ١٨٣١ فنال رواجاً مذكوراً في اوربّة وبقي نسيج وحدهِ فيها الى ان نشأ وطنيّنا ناصيف فوضع معجمهُ واستفاد من طريقة المسيو بيانكي واتّسع في ذكر الاصطلاحات اللغويّة للفنون والآداب والعلوم فنال رضى العلماء لاسيما بعد طبعتهِ الثانية . وقد شكرهُ المسيو بيانكي بكتاب ارسلهُ اليهِ من باريس في ٢٦ ك ١ سنة ١٨٥٤ يثني على تآليفهِ وخصوصاً على كتابهِ « الفوائد الشرقيّة » قال :

لقد تأخرتُ الى الآن عن شكر حضرتكم على الانموذج المفيد النفيس الذي تفضلت باهدائهِ اليَّ وقدرتهُ حقّ قدرهِ منتظماً لوائح الفرص لمطالعتهِ بتدقيق رغماً عن شواغلي الكثيرة والساعات القليلة التي تتركها لي سماء باريس السديمة في هذا الفصل الحزين من السنة (كناية عن الشتاء) فكتبتُ هذا وان كان غير كافٍ وهو ان ما طالعتهُ حتّى الآن من كتابك (الفوائد الشرقية) قد حقّق سداد رأيك في عملك بتآليفك الكثيرة التي اضمّها الى مكتبتي لكثرة شغفي بجمع الكتب

فاذا ضربت صفحاً من فوائد مؤلفاتك السابقة فلا استطيع الآن ان انكر عليك فوائد غراماطيقك الشرقي المختصر وكتابك القواعد العثمانيَّة لفؤاد افندي وجودت افندي وكل قواعد ومبادئ الاغراماطيق التركي الافرنجي تامَّة المنافع ترغب الناس في اقتنائهِ . . . وانت يا مسيو اوَّل شرقي يشتغل بهذه الاعمال فمؤلفاتك العديدة الفائقة قد ساعدت كثيراً على تقدم الدروس العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة . . .

وكتب لهُ مثل ذلك العلَّامة الفرنسوي رينو (J. Reinaud) وغيرهُ من كبار العلماء . ومما هو جدير بالذكر ما كتبهُ بعض العلماء في مقدمة اغراماطيقهِ التركي الفرنسوي المطبوع في باريس سنة ١٨٦٢ وها نحن نعربهُ الآن لما نجد في كلامهِ من التنويه بفضل صاحب الترجمة مع التعريف بكتبهِ قال :

ان الكتب الكثيرة التي مثَّلها المسيو معلوف بالطبع قوبلت جميعها بالاكرام وحصل بها على شهرة واسعة لانهُ وهو استاذ اللغة التركيَّة في مدرسة البروباغندة الفرنساوية في ازمير وباش كاتب قومندان الفرسان العثمانيين وترجمان قنصلية انكلترة الاول في ازمير ما انقطع قطّ عن مشاغلهِ الكثيرة عن تسهيل درس اللغات الشرقية على الاوربيين ولا سيما التركيَّة . كيف لا وانهُ في اثناء اثنتي عشرة سنة قد الَّف ومثَّل بالطبع نحو خمسة وعشرين مؤلفاً كانت مرجعاً للسيَّاح في الشرق ولعلماء الاشتقاق

اما اغراماطيقهُ فحقق ما كنَّا نتوقع من استقبالهِ احسن استقبال . والترحيب بهِ لاختصارهِ ووضوحهِ وعدَّهُ من احسن الكتب الابتدائية لان المؤلفين الى الان لم يشرعوا على اسلوب اسهل واكمل من الاسلوب الذي ابتكرهُ المسيو معلوف فانهُ بعد ان يشرح القواعد بايضاح يوصلك الى الاستعمال بتمارين اشبه بمحاورات واشلة من مألوف الرسالات فهذا الاسلوب هو بلا نكير من احدّ الطرق واقومها للتوصُّل الى التكلُّم باية لغة كانت ويحدون فضلاً عن ذلك في هذا الكتاب الفرمان السلطاني في اول تموز سنة ١٨٦١ والمعاهدة التجارية بين الباب العالي ودولتي فرنسة وانكلترة بالتركيَّة والفرنساويَّة والانكليزية الى غير ذلك مما يكسب روَّام اللغات الشرقية الفوائد الكثيرة

فهذه الكتابات وغيرها التي نضرب عنها صفحاً كلُّها تؤذن بعلوّ مقام ناصيف ومكانتهِ السامية وشهرتهِ الواسعة . وكانت اللغات المتعدّدة التي اتقنها تساعدهُ على التقرّب من العلماء على تباين جنسيَّاتهم واختلاف بلدانهم فيكاتبهم ويكاتبونهُ في لغاتهم المتعددة . وهو كان يتقن العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة والفرنساويَّة والانكليزيَّة والايطاليَّة واليونانيَّة الحديثة ولهُ تآليف في جميعها كما سترى

٧ مؤلفاتهُ

ونختم هذه المقالة بنشر اسماء مؤلفاتهِ والاشارة الى تجديد طبعها تتمة للفائدة

معتمدين في ذلك على برنامج مكتبة ميزونوف (Maisonneuve) في باريس سنة ١٩٠٠ ولوائح نشرت في ما طبع من كتبهِ وما وُجد في المتحف البريطاني ومكتبة الاباء اليسوعيين الشرقية ومكتبة المدرسة الكلية السوريَّة في بيروت وغيرها

١ً مفتاح اللغة التركيَّة طُبع في ازمير سنة ١٨٤٦ = ٢ً محاورات فرنساويَّة وعربية وانكليزيَّة . ازمير سنة ١٨٤٦ = ٣ً محاورات فرنساويَّة وتركية . ازمير سنة ١٨٤٧ = ٤ً تمارين تركيَّة . الاستانة سنة ١٨٤٧ = ٥ً محاورات تركيَّة وعربية باللغة العاميَّة الاستانة ١٨٤٧ = ٦ً فكاهات شرقيَّة بالتركيَّة لنصر الدين خوجه . ازمير سنة ١٨٤٧ والاستانة ١٨٥٩ = ٧ً مجموع جديد لجمل ومحاورات بالفرنساويَّة والتركية في ازمير سنة ١٨٤٩ = ٨ً مبادئ القراءة بالعربيَّة والتركيَّة والفارسية في ازمير سنة ١٨٤٩ = ٩ً معجم بالفرنساويَّة والتركية طبع اولا في ازمير سنة ١٨٤٩ وثانية في باريس سنة ١٨٥٦ وثالثة في باريس في مجلَّدين بعد تنقيحه واضافة اكثر من ستة آلاف كلمة جديدة من علمية وفنيَّة وصناعيَّة وتجاريَّة وسياسيَّة وحقوقيَّة سنة ١٨٦٣ وهو الذي قدَّمهُ للسر بلور كما مرَّ = ١٠ً محاورات وقطع تاريخيَّة وقصص مختصرة بالتركيَّة والفرنساويَّة . ازمير سنة ١٨٥٠ = ١١ً الوادي الطيِّب بالتركيَّة والعربية . ازمير سنة ١٨٥١ = ١٢ً مختصر الجغرافية القديمة والحديثة . ازمير سنة ١٨٥١ = ١٣ً كتاب المراسلات التركية (لنشاءى جديد) . الاستانة ١٨٥٢ = ١٤ً مختصر التاريخ العثماني بالفرنساويَّة . ازمير سنة ١٨٥٢ =١٥ً دليل المحادثات بالتركية والعربية والفارسية ازمير ١٨٥٣ (١=١٦ محاورات بالتركية والفرنساويَّة وبالفرنساويَّة والتركيَّة . ازمير ١٨٥٤=١٧ً فوائد شرقية . في اللغات التركيَّة والعربيَّة والفارسيَّة ازمير ١٨٥٤=١٨ الهجاء العثماني طبع اولًا في ازمير ١٨٥٤ وثانية في باريس

---

١) وربما كان هذا هو الكتاب الذي وصفهُ بعضهم في قائمة المكتبة الكلية السوريَّة في بيروت عن الشرقيين بقولهِ : « التحفة الزهيَّة في اللغات الشرقية على الرسالة البيِّنة في العربيَّة والفارسيَّة نشرت اولًا بالفارسيَّة والتركية مسمَّاة بالتحفة الفارسية وثانية سنة ١٢٦٥ هـ. باسم كمال افندي ناظر المدارس الملكيَّة العثمانية واستاذ البيان وعضو مجلس المعارف واكاديميَّة العلوم الهمايونيَّة في الاستانة العلية ترجم هذه التحفة بالعربية ناصيف المعلوف في ازمير وطبعت في اللغات الثلاث على نفقة امين مخلص افندي عضو الاكاديميَّة المشار اليها في ازمير ١٨٥٣م (١٢٦٩ هـ.)

١٨٦٣ = الخاطبات الملوفية بالتركية والعربية . الاستانة ١٨٥٩ (والصواب ١٢٧٢—١٢٧٦) = ٢٠ دليل المحادثات باللغات الخمس الايطالية واليونانيـة والتركية والفرنساوية والانكليزيَّة طبع مرَّتين في باريس سنة ١٨٥٩ ثم سنة ١٨٨٠ = ٢١ دليل المحادثات باللغات الاربع الفرنساويَّة واليونانية الحديثة والانكليزيَّة والتركية طبع ثلاثاً في باريس سنة ١٨٥٩ ثم ١٨٦٣ ثم ١٨٨٠ = ٢٢ دليل المحادثات باللغات الاربع الايطالية والتركية والفرنساويَّة والانكليزيَّة . باريس سنة ١٧٥٩ = ٢٣ دليل المحادثات باللغتين الانكليزيَّة والتركية طبع مرَّتين في باريس سنة ١٨٥٩ ثم سنة ١٨٨٠ = ٢٤ دليل المحادثات باللغات الثلاث الانكليزيَّة والفرنساويَّة والتركيـة طبع مرتين في باريس سنة ١٨٦٠ ثم سنة ١٨٨٠ = ٢٥ اغرامطيق اللغة التركية بالعربية طبع اولًا في باريس سنة ١٨٦٢ وثانية فيها سنـة ١٨٨٩ بعد ان نظر فيهِ المسيو كليمان هوارت (C. Huart) ترجمان السفارة الروسية الثاني في الاستانة العليَّة قبلًا ومدرّس في مدرسة اللغات الشرقية حالًا وهو صاحب كتاب آداب العرب المشهور بالفرنساويَّة = ٢٦ معجم تركي وفرنساوي بمجلد واحد . باريس ١٨٦٣ و١٨٦٧ = ٢٧ دليـل المحادثات باللغات الثلاث الفرنساويَّة والانكليزيَّة والعربية طبع اولًا في باريس ١٨٦٢ وثانية فيها سنة ١٨٨٠ (١

هذا وقد بقي لهُ بعض مؤلفات لم نعثر على اسمائها والسنة التي طبعت فيهـا فنذكر منها نقل حكايات باركن (Berquin) من الفرنساويَّة الى التركية وغيرها لأن مؤلفاتهِ المطبوعة فوق الثلاثين عدًّا فضلًا عمَّا هو مخطوط منها ولم يُطبع

وفي الختام اطلب من القراء الكرام الذين يرون في هذه المقالة غلوًّا ان يطالعوا مجموعة الجرائد الاوربيَّة في ايامهِ وما كتبـهُ بعض الافرنج ان لم نقل اشهر علمائهم

---

١) ومما وجدنا لتاصيف المعلوف في مكتبتنا الشرقيَّة كتاب مكالمات لطيفة وامثال وتواريخ مترجمًا من الفرنساويَّة الى التركيَّة تاريخهُ ١٢٦٦ (١٨٥٠) قدَّمهُ لاحمد فتحي باشا وطبعـهُ في الاستانة وقد ترجم ايضًا من الفارسيَّة التركية الى العربيَّة رسالة كمال افندي المعنونة « التحفـة الزهيَّة في اللغات الشرقيَّة » (ازمير ١٢٦٩—١٨٥٣) ولهُ ايضًا دليـل آخر في ثلاث لغات الفرنساوية والانكليزية والعربيَّة الدارجة في الشام ومصر مع تقبل لفظ اللغة العربيَّة بحرف فرنجي باريس ١٨٦٤ ولعلَّهُ المذكور تمت العدد ٢٧ (المشرق)

فيعذرونني لانني تجنّبت ايراد حقيقة لا اسناد لها مع ان هذه اوّل مقالة على ما اعلم نُشرت عن فقيدنا في اللغة العربية ما عدا شذرات قليلة طلبها مني بعض انسباني منذ بضع سنين ولا اعلم اذا كان قد نشرها في خارج سوريّة مستدرأ على الفقيد وابل الرحمة . وطالبًا من اهل النقد الذين يعرفون عنه شيئًا ان يتكرموا بنشره والله المسؤول بالعفو عن المترجَم والمترجِم بمنّهِ وكرمهِ

المخطوطات العربيّة في خزانة كليّتنا الشرقيّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٧ الكتبة الكنسيّون الى القرن الخامس عشر: اوّلًا الملكيون (تتمّة)

(العدد ٩٠) كتاب مجلّد بجلد اسود ومقوّى بورق ملوّن طولهُ ٢٧ سنتمترًا في عرض ١٨ س صفحاتهُ ٢١٠ وفي كلّ صفحة ٢٣ سطرًا وهو مكتوب بحبرين اسود واحمر على ورق قديم يرتقي عهدهُ الى نحو ٣٠٠ سنة وهو خالٍ من التاريخ لسقوط صحيفتهِ الاخيرة . امّا الكتاب فيتضمّن تاريخًا لاحد الملكيين اسمهُ اغابيوس ابن قسطنطين المنبجيّ من كتب القرن التاسع وقد ذكرهُ المسعوديّ في كتاب الاشراق (ص ١٥٤ من طبعة ليدن) وهو يدعوهُ محبوب ابن قسطنطين المنبجيّ واشار الى كتابهِ هذا . وعنوان التاريخ وارد في صدرهِ: « كتاب العنوان المكلّل بفضائل الحكمة المتوّج بانواع الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة » يليهِ في الصفحة التابعة :

« بسم الله الواحد الابدي الازليّ السرمدي وبهِ نستعين . كتاب العنوان .... ممّا اعتنى بجمعهِ الشيخ الفاضل المعلّم العالم الفيلسوف الكامل اغابيوس ابن قسطنطين الروي المنبجيّ وارسلهُ الى رجلٍ فاضل يقال لهُ عيسى ابن الحسين . (حاشية) اعلم وفّقك الله تعالى انّ هذا الكتاب المبارك جمعهُ وصنّفهُ وألّفهُ من كتب الله المقدّسة ومن كتب الفلاسفة والحكماء واجهد نفسهُ فيهِ مع كدّ وتعب وجدّ ونصب ووضعهُ لمنفعة وربح كثير للناس ممّن ينظر فيهِ . . . »

ثمّ تتبع المقدّمة :

« وهذه فاتحة الكتاب . قال الرسول الالهي انّ كلّ عطيّة صالحة وكل هبة كاملة هي منحدرة من العلوّ من اب الانوار . وقد اختصّك الله ايها الحبيب بموهبة صالحة حسنة الذي جعل فيك من الحبّ المبادرة الى معرفة وجود ضياء الامور والوقوف على حقائقها . . »

وهذا الكتاب يتضمّن تاريخ العالم منذ تكوينهِ الى عهد المسيح نقلًا عن الكتب المقدّسة والتواريخ الدائنة ثمّ تاريخ المسيح واخباره الى صعودهِ الى السماء ويليهِ (ص ٤ ١٣) كتاب « القوانين المقدّسة التي ترجمتُها حقوق الله وما يتلوها من المجامع المقدّسة ممّا وضعتْها الرسل الاطهار وخافاؤهم من الآباء القديسين الابرار مجمعًا بعد مجمع منذ صعود ربنا والاهنا وسيّدنا يسوع المسيح الى السماوات » . وقد ذكر في هذا القسم ما خلا المجامع الاربعة مختصر تاريخ الرومان وتاريخ الكنيسة الى المجمع الخلقيدوني

ومن هذا التأليف نسخة في مدرسة الشرفة للسريان ونسخة في دير اللويزة للرهبان الموارنة الحلبيين . ومنهُ نسخة في مكتبة اكسفرد (Bibl. Bodl., Nicoll. p. 56) تاريخها سنة ٦٨٢٨ للعالم (١٣٢٠ للمسيح) . ومن غريب امر واصفها انهُ قرأ بدلًا من المنبجيّ « المنيحي » وشرحهما بمعنى « المانويّ » (de Agapio Manichæo !) وظنّ ان اغابيوس هذا هو الذي ذكرهُ فوتيوس في مكتبتهِ (راجع مجموع آبا اليونان P. G., CIII, 522) ونسبهُ الى المانويّة ولا نعلم ما بين الرجلين من العلاقة لاسيما ان فوتيوس لا يذكر نسبهُ ولم يصف شيئًا من هذا التأليف وانّما ذكر فقط رجلًا باسم اغابيوس صنّف كتابًا في ٢٣ قسمًا لا علاقة لهُ مع كتاب اغابيوس ابن قسطنطين المنبجي . وهذه النسخة قد حصلنا عليها عند الاديب نجيب دمعه في حمص سنة ١٩٠٢ (راجع الشرق ٥ : ٩٠٩)

(العدد ٩١) كتاب مجلّد تجليدًا شرقيًا بجلد اسود عتيق طولهُ ٣٣ س في عرض ٢٢ س صفحاتهُ ١٩٣ وفي الصفحة ٢٣ سطرًا وعلى هامشهِ عدّة حواشٍ كما في الكتاب السابق وهو ايضًا مكتوب بحبر اسود في المتن واحمر في الفصول وبخطّ كنسي . ومضمونهُ كالكتاب السابق يحتوي نسخةً من تاريخ اغابيوس المنبجيّ وليس بين النسختين فرق يُذكر امّا تاريخ هذه النسخة فمدوّن في آخرهِ كما ترى :

« وقد علّقوا هذا الكتاب بايديهم الفانية الذي ليس مستحقين ان يُذكر اسامهم ظاهر زخريا من قرية حامات وايليا منعم من قرية زبوغا في سنة ١٨١٩ للمسيح »

بيع الكتاب في بيروت سنة ١٨٩٨

(العدد ٩٢) كتاب مجلّد بجلد وورق اصفرين طولهُ ٢٢ س وعرضهُ ١٧ صفحاتهُ ١١٧ وسطوره تختلف بين ١٩ و٢٥ سطرًا خطهُ جاكنسي . والكتاب

لا تاريخ لهُ وانَّما يدلُّ ورقهُ وخطُّهُ انهُ من القرن الثامن عشر . وفي صدرهِ ما حرفهُ : « قد دخل بملك الحقير في روسا الكهنة اثاناسيوس جبرائيل حمصي مطران مدينة حمص وما يليها وذلك في مدينة حلب في ١٠ شهر ايلول سنة ١٨٣٢ » وشمار المطران فوق هذه الكلمات يمثل صورة البتول الطاهرة مع ابنها . وتحت الكلمات ختمهُ مع تاريخ سنة ١٨١٦ : وجاء في آخر الكتاب : « وقد دخل في مكتبة الحقير في روسا الكهنة اثاناسيوس جبرائيل حمصي مطران حمص وما يليها وذلك لمَّا كنتُ منفيًا (؟) في حلب في ٢٦ حزيران ١٨٣٣ » . وهذا الكتاب مجموع مقالات من كتاب الحاوي الكبير في قوانين الرسل ومن المجامع المسكونيَّة المقدَّسة ومن اقوال الآباء القديسين ومعلمي الكنيسة الشرقيَّة والغربيَّة » في امور الايمان والاسرار المسيحيَّة والآداب الكنسية والمشاكل الكتابيَّة . والمقالات متتابعة دون نظام وبلا فصول . اما صاحبهُ فليس بمذكور وهو بلا شك من الملكيين لاستشهادهِ بكلام آباء اليونان والمجامع المقدَّسة السبعة الاولى . وفي كلامهِ عن مار بطرس ما يشعر باعترافهِ لهُ بالسلطة على كلّ الكنيسة » . وقد ابتعنا هذا الكتاب في حلب سنة ١٨٨٦

(العدد ٩٣) كتاب مجلَّد بجلد خمريّ وورق اصفر طولهُ ١٨ س في ١٣ س عرضًا صفحاتهُ ٩٦ وفي الصفحة ١٣ سطرًا لا تاريخ لهُ وقد سقطت منهُ ورقتهُ الاخيرة وهو مكتوب بحبرين اسود واحمر يدلُّ ورقهُ وخطُّهُ على انَّهُ من كتب القرن الخامس عشر . اشتريناهُ في حلب سنة ١٨٨٦ . وقد جاء في باطن جلدهِ ما كتبهُ الكاهن صاحبهُ ما حرفهُ « في ٩ شهر ايلول عليّ قانون قداديس ١٦ سنة ١٧٣٧ » ويلي هذا التاريخ تاريخ آخر بالعدد الفرنجي 1746 . وهذا الكتاب عنوانهُ « كتاب البستان وقواعد الحكمة وشمس الادب » وهو مجموع حكم قديمة جمعها احد النصارى الملكيين من اقوال حكماء اليونان والرومان كارسطو وافلاطون وسقراط وفيثاغورس وجالينوس ومن آيات الكتاب المقدَّس وبعض الآباء كغريغوريوس . ولم يذكر من العرب غير قسّ ابن ساعدة ومن العجم غير بزرجمهر وليس في ذكر هذه الحكم ترتيب ظاهر وكذلك لم يمكنَّا الوقوف على مؤلفهِ . واوَّل الكتاب :

« بسم الله الخالق الحيّ الناطق هذا كتاب البستان وقواعد الحكمة وشمس الادب جُمع من كتب الحكماء وهو يظهر الآداب ويطيل الاخلاق ويعلّم الناظر فيهِ حكمة ويزيدهُ ادبًا وعلمًا .

قال المؤلف لهذا الكتاب : الشكر لله الباري القديم ذو (كذا) النعمة السابغة (كذا) والحجّة البالغة الذي قد رفّق وخلق فاحسن واعطا ورزق واحيا وامات القدوس القويّ السميع العليم الذي خلق الخلائق بقدرته ويراها بحكمته في اختلاف تركيبها على ما سبق في علمه ومشيته خلق للانسان لسان وجعلهُ للبيان . . . »

وهذه المقدّمة طويلة حسنة يليها بدء الكتاب (ص ٧) :

« وهذه بداية الكلام قال سليمان الحكيم حدّث حكيماً ولو كان فقيراً افضل من شيخ جاهل ولو كان سيداً . وقال انّ الادب اكرام (اكرم) الجواهر طبيعةً وانفس الاخلاق (الأعلاق) قيمةً يرفع الاحساب الوضيعة ويقبل الرغائب الرفيعة ويزيّن صاحبهُ بغير رجال ويجمل حالهُ احسن الاحوال (ص ٨) ويجمع لهُ الشيرة وتكثر لهُ الذريرة . (وقال) العلم يوصل صاحبهُ الى الشرف والجهل يسوق صاحبهُ الى التلف وحسن الخلق خير قرين والكتاب اخير جليس . (وقال) اطلبوا الادب فانهُ زيادة في العقل ودليل على المروّة وصاحب في الغربة واصل بين العلماء وسراج منير في مجالس الحكماء . . . ونظر ديوجانس الحكيم الى رجل احمق جالس على حجر فقال يعجب ان يكون حجر على حجر . قال (قيل) لارسطاطاليس : ما الذي يجب ان يُتمنا (يقتنى) فقال « شيئاً (شيء) اذا غرق مقتنيهِ عام معهُ يعني بهِ العلم . وسأل (وسُئل) بعض العلماء عن ولده وكان مولعاً بشرب الخمر فقيل لهُ كيف ترا (ترى) ابنك فقال : اذا لم يسكر فهو كما تريد واذا سكر فهو على ما يريد النبيذ . . . وقيل لسقراط : هل من انسان لا عيب فيهِ فقال : لو كان الانسان لا عيب فيهِ لم يمت . . . . وقيل لافلاطون هل يجتمع الحكمة والمال . فقال : ذاك يكون الكمال . . . »

وقد سقطت في آخر هذا الكتاب الذي لم نعرف منهُ نسخة أخرى

(العدد ٩٤) كتاب مجلّد تجليداً شرقياً مجلد وورق اصفر طولهُ ١٥ س ونصف في عرض ١٠ س ونصف وعدد صفحاتهِ ١٠٠ وفي الصفحة ١٣ سطراً وهو خلو من التاريخ يدلُّ ورقهُ وخطهُ على انهُ كُتب منذ ١٥٠ سنة . واسمهُ « كتاب الرموز ومفاتيح الكنوز » يشتمل على ثلاثة وستين رمزاً على شبه الالغاز الروحيّة ولم يذكر مؤلفهُ والظاهر انهُ من قدماء الكتبة . وقد عُنيَ السيّد اقليميس اسقف دمشق السرياني بنشرهِ فطبعهُ في مطبعة الدومنيكان في الموصل سنة ١٨٧٠ في ١٣٢ صفحة صغيرة ولم يذكر شيئاً عن نسختهِ ولا عن المؤلف وزمانهِ كما انهُ لم يحلّ شيئاً من رموزهِ الروحيّة التي اوّلها كما ترى وقد اشار بهِ الكاتب الى العذراء الطاهرة :

« (الرمز الاوّل) : انا شجرة الحياة وما مُنحتُ سوى ثمرة واحدة وهي التي كفّرت الاثام . انا ارضى البركة وقد نبتت ثمرتي من غير زرع انا الواسطة لايقاع الصلح بين الله وعبادهِ انا اصلحتُ ما افسدتهُ حوّاء . انا القمر الذي كسفتُ الشمسَ من غير كسوف . انا الكوكب

الذي ترعاهُ البحريون . انا حجبتُ الذات الالهيَّة عن معاينة الابصار ومع جميع ذلك أجلُ تصدي ان تمود مرؤفةً لدى جميع الخلق وقد اوصيتُ القادر على الكل واجابني . انا امّ وبتول وام ابي والخامل ايضا الخاطئ انا ملجأك ورجاؤك فان لم يتيسَّر لك الوصول الى الثمرة فتمسَّك بالشجرة »

وهذا الكتاب ممَّا حصلنا عليهِ في حلب سنة ١٨٨٦ . وفي صدرهِ ما حرفهُ : قد تملَّك هذا الكتاب المبارك الذي يخصّ سيّدتنا مريم البتول المجيدة عبدها الحقير جرجس حانيطه (؟) في تشرين الاوَّل سنة ٤٦(١٨)

(العدد ٩٥) كتاب مجلَّد بخشب وجلد احمر قاتم منقوش طولهُ ٢١ س وعرضهُ ١٥ س ونصف صفحاتهُ ٢٢٥ وفي الصفحة ١٥ سطراً مكتوب بحرف مُشرق جلي حسن بحبر اسود الَّا فصولهُ ونقطهُ فانها حمراء . يُقرأ على اوَّل صفحاتهِ اسم جبرائيل حمصي ابن نيقولاوس حمصي بالايطاليَّة . وهذا الكتاب لا عنوان لهُ في اوَّلهِ ما حرفهُ :

بسم الله الموَّحد بالذات المثلث بالصفاة (بالصفات) . بعون الله تعالى نكتب مسائل اهل الاحداث من الموحّدين واصحاب الاثنين يسألوا النصارى عن الاب والابن والروح القدس . . .

ومدار هذا الكتاب على بيان عقائد النصارى وتعاليمهم والردّ على اعتراضات المعترضين بامثال وتشابيه حسنة . امَّا المؤلف فلا ذكر لهُ وقد كان بلا شك روميًّا ملكيًّا يذكر ماوك الروم وآباء الكنيسة اليونانيَّة . وذكر (ص ٥٧) تسليم منصور ابي القديس يوحنَّا الدمشقي لمدينة دمشق ثمَّ يزعم انَّهُ ترهَّب في طور سينا وانهُ هو المقول لهُ انسطاسيوس السيناوي . والظاهر ان عهد المؤلف من القرن الخامس عشر او السادس عشر . وفي آخر الكتاب ما حرفهُ :

« وكان الفراغ من نساخة هذا الكتاب المبارك نهار الثالث . ثالث يوم مضت من شهر اذار سنة ٧٢١٠ لابونا آدم (١٧٠٢م) عليهِ افضل السلام وذلك يد العبد الفقير الذليل الحوري ميخائيل الراهب ابن الحوري غازي فيسأل كل من ينظر الى هذه الاسطر الذميمة يدعي لهُ بالمغفرة »

(العدد ٩٦) كتاب مجلَّد تجليدًا حديثًا في مطبعتنا برقّ ابيض وورق على ظهرهِ عنوانهُ بالذهب « في الصفات الالهيَّة » طولهُ ٢٠ س في عرض ١٣ س صفحاتهُ ١٥٤ وفي الصفحة ١٨ سطراً مخطوط منذ خمس عشرة سنة . امَّا مضمونهُ فهو نسخة ثانية من الكتاب السابق فلا حاجة الى الاطالة وبين النسختين اختلاف يسير (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

VIDA DE SANTO ABUNAFRE — Versão ethiopica publicada por *Francisco Maria Esteves Pereira*, 8° 26 pp. 1905.

ترجمة القديس « ابونفر » في الحبشيَّة

قد اضاف المسيو استاتس برايرا هذا الكتاب الجديد الى منشوراته المتعدّدة التي اغنى بها آداب اللغة الحبشيَّة . وابونفر هذا هو القديس المعروف عند اليونان باسم اونوفريوس . وجد ترجمتهُ في نسخة من المتحف البريتاني عددها ٧٦٣ وفي نشرها تتمَّة لفوائد التآليف التي نشرها الاب جانتغ (C. Janning) اليسوعيّ والمؤرخ تيلمون الشهير (Tillemont) في هـذا القديس كما انَّها تُصلح الاغلاط الباقيـة في الترجمة القبطيَّة التي نشرها المسيو اميلينو . وكنَّا نودّ لو أُثبتت اعداد صفحات الكتب المخطوطة وأُشير الى روايات المسيو ايَّادي ونسخة التلاث ٨٥ و٩١ و ٩٤ الاب م. شان

G. DIETTRICH. Ein Apparatus criticus zur Peschitto zum Propheten Jesaia. (Beiheft *VIII* zur ZAT) 8° *XXXII*-222 pp. 1905 *Toepelmann, Giessen.*

طبعة انتقاديَّة من سفر اشيا عن الترجمة السريانيَّة البسيطة

اهدى الينا هذا الكتاب طابعهُ المسيو توبلمان وفي طبعـهِ دليل ظاهر على تقدُّم العلماء في انتقاد الترجمة السريانيَّة البسيطة . ولا يجهل قرَّاؤنا ما لهذه الترجمة من الخطر العظيم بين تراجم الاسفار الالهيَّة لاثبات كلام الله ومعانيه الاصليَّة . على انَّ الترجمة المذكورة شائعة في الكنائس الشرقيَّة في الشام وما بين النهرين والعراق وشيوعها ضامن لكفايتها في الرتب البيعيَّـة لكنَّ الدروس الكتابيَّة تقتضي ما هو فوق ذلك من ضبط ومقابلة النسخ وذكر الروايات وغير ذلك ممَّا يسعى لـهُ منذ بضع سنين علماء الالمان والانكليز وغيرهم املًا منهم ان يتوفَّقوا الى وضع طبعةٍ مثاليَّة يُرجع اليها في كلّ المباحث المنوطة بالترجمة السريانيَّة البسيطة . ومن ذلك طبعة الاناجيل الاربعة التي قام بها العلَّامة غوبليام (Gwilliam) فنشرها في اكسفرد (Tetraevangelium Sanctum, *Clarendon Press*, 1901) وهي من التآليف المعتبرة التي تُعـدّ كأساس

لدروس تالية تعقبهُ . اما العهد العتيق فانَّ التآليف تتعدَّد فيهِ متعاقبةً وقد امتاز المسيو ديتريخ بين علماء البروتستانت الذين احرزوا لهم في ذلك شهرة بالغة . والكتاب الذي نحن في صددهِ مدارهُ على نصّ سفر اشعيا اودعهُ روايات النسخ المخطوطة المصونة في خزائن امهات المدن كلندن واكسفرد وكمبردج وباريس وروما وفلورنسة وميلانو وبرلين وفي عملهِ هذا ما يتعلق بفضلهِ وهمتهِ . ومما استنتجهُ من دروسهِ هذه الخطيرة ما اثبتهُ في مقدّمة كتابهِ انَّ علماء المانية البروتستانت اخطأوا خطأً عظيماً باهمالهم الترجمة السريانيَّة التي طُبعت في الموصل سنة ١٨٨٨ وهي اتقع واضبط مما توهَّموهُ ن. ر

HISTOIRE DE NAZARETH et de ses sanctuaires par Gaston le Hardy. *Paris, Lecoffre*, 1905, pp. 237, in-12.

الناصرة ومعابدها

كانت الناصرة قرية حقيرة في اواسط بلاد الجليل اختارها الله لتكون موطناً لابنهِ المتجسد فيدعى يسوع الناصري ويُدعى عابدوهُ نصارى باسم موطن الههم ومخلصهم حتى اذا عثر المسيحي جبينهُ بترابها ونظر الى هضابها وبطونها ومسالكها قال في نفسهِ : هنا عاش ابن الله ثلاثين سنة من عمرهِ . هذه الارض قدستها قدماه . وهذه الاصداء رددت صوتهُ . لكن اين بشر بهِ الملاك فصار جسداً وحلّ فينا ؟ هل من سبيل الى تحقيق مكان بيت مريم ويوسف ؟ تلك لسئلة يتعذر ان يُعطى عليهِ جواب قاطع . فاذا استقصى العالِم سلسلة الشهادات وجدها غير ملتحمة تمام الالتحام سيما وقد انقطع النصارى مدة طويلة عن زيارتها . وقد اراد حضرة الكاتب المدقق المسيو غاستون لوهردي ان يتتبع الكتبة والمؤرخين والزوار جيلاً بعد جيل فيجمع اقوالهم عسى ان تنكشف الحقيقة للقارئ والزائر . لكن هذه النصوص مع كثرتها لا تفي تماماً بالمرام ويبقى العقل متردداً لولا ان الآثار القديمة التي اكتشفها حضرة الاباء الفرنسيين من آساس وقواعد وحنايا وغيرها تؤيد التقليد القديم الذي لا يزالون يحافظون على صيانتهِ وقد جاءت مجموعة الشهادات التي نشرها المسيو لوهردي اثباتاً لها

لكن يا ترى هل ينحصر في هذه المعابد كل ما اعتبرهُ الاقدمون اثراً جليلاً في الناصرة ؟ او بجلي العبارة هل كان لاجدادنا خلا مقدس البشارة الجليل معبد آخر سموه معبد التغذية وهو بيت العائلة المقدسة — حيث عاش يسوع وغا وكبر — فاكرموهُ

اكرامهم للمعبد الاوّل ؟ ذلك امر يصعب ابداء الحكم فيـه بتاتًا فان النصوص لا تثبت وجوده وان كانت ترجّح رأي القائلين بهِ . ونحن نكرر ما قلناه في مقالة سبقت لنا في البشير وهو ان ينظر علماء الآثار الى هذا الامر نظرًا شافيًا فيتابعوا الحفر والتدقيق فالحقيقة بنت البحث . ونشكر لصاحب الكتاب حسن ظنـهِ بالعلم ومريديهِ كما نثني على تزاهة غاياتهِ وصدق منتخباتهِ الاب انطون رباط

W. H. COBB. **A Criticism of hebrew metre.** An elementary treatise. *VIII* - 216 pp. 8° *Oxford, Clarendon Press.*, 1905.

نقد عروض الشعر العبراني

انَّ العلماء يتباحثون منذ عدَّة سنين في امر اوزان الشعر العربيّ وقوانين عروضهِ . وهذا الكتاب درسٌ اجماليّ بحث فيهِ صاحبهُ المستر كوبّ عن آراء الكتبـة في هذا الشأن دون ان يعتمد هو على رأي خاصّ ويغلّب قولًا على آخر وقبل تلخيصهِ مذاهبهم يذكر ما كان يرتئيهِ القدماء في هذا الصدد قبل القرن التاسع عشر ثمَّ ينتقـل الى مذهب ايشلد ثمَّ ماير ثمَّ لاي (Ley) وبود الذين لا يزالون حتّى اليوم يشتغلون بالاوزان العبرانيَّة . ثمَّ روى طريقة بيكل المبنيَّة على عدد المقاطع ثمَّ طريقة الاستاذ د. هـ. مولّر احد اساتذة كلّيَّة ڤينَّة كالدكتور بيكتى ومكتشف الادوار الشعريَّة ثمَّ انتهى الى العالمين غرمّه (Grimme) من اساتذة كلّيَّة فريبورغ وسيڤرس (Sievers) ممَّن كتبوا آخرًا في هذا الموضوع . فالمؤلف يعرض رأي كلّ واحد من هؤلاء العلماء دون تمييز وبدقَّة تدلُّ على تعمّقهِ في درس هذه المادّة . لكنّا نرى انَّهُ لم يعرف للاب تـتّر فضلهُ ولم يحسن درس طريقتهِ (ص ١٥١ الحاشية الاولى) وعلى كلّ حال كنّا وددنا لو اطّلع المستر كوب على كتاب الاب كندامين عن سفر اشعيا النبيّ فلعلَّهُ يجد هناك انَّ طريقـة الآباء تـتّر وهتمّير وكندامين مع ما لهـا من العلاقات تذهب الدكتور مولّر تمتاز باشياء متعدّدة عن طريقة الادوار الشعريَّة التي علّمها استاذ ڤينَّة . ونحن نحثّ الذين يبحثون في الاوزان العبرانيَّة انْ لا يضربوا صفحًا عن هذا الكتاب س. ر

شذرات

جداول ديوان ابي تمّام كثيرًا ما تستلفت انظار الادباء الى ان

يلحقوا بكتبهم جداول تسهّل على القرّاء مطالعة كتبهم . ومن عجيب اعمال المستشرقين انّهم تولّوا بانفسهم اصطناع جداول واسعة لعدّة كتب مطبوعة في الشرق منها جداول كتاب الاغاني وجداول تاريخ الاطبّاء لابن ابي اصيبعة وجداول خزانة لعبد القادر البغدادي . واليوم قد اطّلعنا على جداول ديوان ابي تمّام الذي تولّى طبعهُ آخرًا الشيخ محيي الدين الخيّاط نشرها العلامة المستشرق مرغوليوث (D. S. Margoliouth) في المجلّة الاسيويّة الملكيّة في لندن في عددها الصادر في تشرين الاوّل (ص٧٦٧–٧٨٢) وهي خمسة جداول اوّلها لاعلام الامكنة المذكورة في شعر ابي تمام وثانيها لاعلام الرجال وثالثها لاعلام القبائل ورابعها لاسماء النجوم والبروج وخامسها لاسماء الوقائع الحربيّة التي وصفها . فياليت ادباء بلادنا يباشرون مثل هذه الاعمال المفيدة فيزيّنوا بها تآليفهم

اصل الجدري وجد احد اطبّاء الانكليز ذكر الجدريّ في احد كتب الصين تاريخهُ سنة ١١٢٢ قبل المسيح اسمهُ «تونتشين فا» والجدريّ يسمّى هناك «تاي تو» فيوصف فيهِ وصفًا مدقّقًا ويُذكر شفاؤهُ بالتطعيم . وقد انتشر الجدريّ من الصين الى الهند واخبر بلوترك المؤرخ ان ثلاثة ارباع جيش الاسكندر ذهبت ضحيّة الجدري ثمّ فشا الداء في العجم وامتدّ الى جزيرة العرب ومنها الى الشام ثمّ الى اوربّة

جائزة عشرة ملايين فرنك قد صادق مجلس الندوة في ريوجانيرو على منح جائزة قدرها عشرة ملايين فرنك تُعطى لمن يكتشف دواء ناجعًا يقي من داء السلّ او من السرطان او بعض امراض معدية ويشفي منها الشفاء الاكيد وهذه الجائزة تُعطى سنتين بعد اكتشاف الدواء واختباره بحكم ستّة اطبّاء منهم اثنان من مدرسة ريوجانيرو الطبيّة واربعة من كليّات باريس ولندن وفينّة ورومية . وكان مقترح هذا الطلب المسيو مديروس البوركك

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد ادباء الشام من هو الكاتب النصراني القديم المدعوّ هرماس صاحب كتاب الراعي وما هو مضمون هذا الكتاب

هرماس الكاتب النصراني

ج ظنَّ اوريجانوس انَّ هرماس هذا هو الذي ذكرهُ بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل رومية (١٦ : ١٤) والرأي المرجَّح اليوم بين العلماء انهُ عاش في اواسط القرن الثاني للنصرانيَّة وذلك استنادًا الى الاثر الذي اكتشفهُ موراتوري عن الاسفار المقدَّسة وقد جاء فيهِ انَّ هرماس كان في رومية وانهُ كتب على عهد اخيهِ القديس بيوس البابا الاوَّل من اسمهِ الذي ساس الكنيسة من السنة ١٤٠ الى ١٥٥ . وكان هرماس رجلًا وجيهًا ذا مال ابتنى كنيسة في رومية لاخوانهِ النصارى . امَّا كتابهُ المعروف بالراعي فعُدَّ مدَّةً بين الاسفار المقدَّسة وشهد اوسابيوس القيصريّ انَّهُ كان يُقرأ في كنائس الشرق كأحد الكتب الالهيَّة وكذلك ظنَّ اوريجانوس انهُ من التآليف المنزلة الَّا انَّ الكنيسة الرومانيَّة لم تصادق على ذلك ولهذا أهمل شيئًا فشيئًا فلم يُعرف منهُ سوى ترجمتهِ اللاتينيَّة وبقي اصلهُ اليوناني مجهولًا الى ان وجد منهُ نسخةً العلامة تيشندروف في طور سينا سنة ١٨٥٦ . وهذا الكتاب يتضمَّن عدَّة رؤى ووصايا وامثال في ثلاثة اقسام غايتها تعليم المسيحيين وتهذيب حياتهم وتوبتهم الى الله وكل ذلك يملهُ عليهِ ملاك على شبه الراعي

س سألنا جناب منصور حلو ترجمان مديريَّة سنَّار في السودان ان نكتب مقالة لايضاح مسألة الطلاق عند المسيحيين

ج الجواب في مقالة حضرة الاب صالحاني التي اقترحها عليهِ بعض السادة الاجلَّاء. فاثبت اوَّلها في صدر هذا العدد

س سألنا من صيدا جناب توما افندي كيَّال عدَّة اسئلة بخصوص قضيب الصاعقة

قضيب الصاعقة

ج قد كتب حضرة الاب كولنجت مقالة في المشرق (٣ : ١٢٦—١٣٣) بهذا الخصوص فلتراجع . وخلاصة ما يُقال انَّ قضيب الصاعقة يُركز فوق البيوت على علوّ مترين او ثلاثة وهو يقي من الصاعقة مسافةً على ضعف طولهِ . واذا زاد طولهُ ضعفت قوَّتهُ الواقية . ويشترط فيهِ ان يكون رأسهُ من معدن لا يتأكسد كالنحاس والاحسن البلاتين على طول ثلاثة او اربعة سنتمترات وان يتَّصل بسلسلة الى بئر فيها شيء من الماء وان تُعزل السلسلة عن البناء

ل . ش